الفصل الثاني

نظرة تاريخية

المبحث الأول – ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام وفي العهد النبوي .

أولاً – ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام.

ثانياً – الرسول ﷺ والحرب النفسية.

المبحث الثاني – صور من الحرب النفسية:

أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ.

ثانياً: الحرب النفسية في الحربين العالميتين وما بينهما .

ثالثاً: الحرب النفسية المعاصرة.

المبحث الأول

ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام وفي العهد النبوي

أولاً- ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام : إن ظاهـرة الحرب النفسية ليست جديدة، إن قلـنا إنها ليست إلا الجانب المعنوي من القتال بين الشعوب، فمنذ أقدم العصور عـرف قواد المعارك أهمية إطلاق الشائعات لإضعاف الروح المعنوية أو على الأقل لخلـق صـورة مـن الارتـباك الـتي كـثيراً ما توجد عدم الثقة بالنفس والإيحاء مقدماً بالهزيمة، ومن ثم يكون نصف المعركة قد تم دون إراقة أي نقطة من الدماء[1].

وكذلك استخدام القادة الخداع والحيل المختلفة لإثارة الفتن، وتفريق المجتمعات بعضها عن بعض، والظهور بمظهر القوة لإرهاب الآخرين.

وهـذا الأسـلوب في الحـرب النفسـية في صـوره القديمـة مـا زال حتى الآن هو أسـلوب الحرب النفسية في الوقت الحاضر، إلا أن الوسائل ترقت وتعددت بوجود وسائل الإعلام المتعددة المسموعة والمرئية والمكتوبة.

وإن أهـم هـدف تسـعى إلـيه الحـرب النفسية قديماً وحديثاً هو زرع الخوف في نفوس من توجه إليهم، لأن انفعال الخوف نفسياً متعلق بغريزة حب الحياة وكراهية المـوت.... ويترتـب على الخوف الهرب في المعارك، وفي غيرها عدم الشعور بالأمن والاستقرار والحياة بقلق دائم..

لذلك كان من نعم الله عز وجل على قريش – وحتى في حالة إشراكهم بالله – نعمة الأمن من الخوف، لأنهم أهل الحرم﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي

---

(١) ارجع إلى مقال الـرأي العـام الدولي والسلوك السياسي – د. حامد ربيع، مجلة السياسة الدولية ٦ أكتوبر ١٩٦٦.

أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش ٣-٤] استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام عقب بناء البيت وتطهيره ﴿ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [البقرة ١٢٦] ومن نعم الله عز وجل التي أنعمها على المؤمنين نعمة الأمن بعد الخوف: قال تعالى: ﴿ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ﴾ [النور ٥٥] وأن أولياء الله لا خوف عليهم مادام الله معهم: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [يونس ٦٢] .

وبالمقابل أذاق الله عز وجل الكافرين والظالمين أنفسهم لباس الجوع والخوف: ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [النحل ١١٢] . وفي قصص الأمم السابقة صور لاستخدام الحرب النفسية في هزيمة الأعداء، وهي كثيرة ولا ندري مدى صحتها وقد تناولها بعض الكتاب بشكل مفصل ومطول(١) دون أن يرجعنا إلى سند تاريخي، وبعضها يرجعها إلى التوراة، والتوراة بصورتها الحالية لا تعد سنداً تاريخياً موثقاً لما أصابها من التحريف على يد أحبار اليهود.

وإن القرآن الكريم هو أصح مرجع صحيح يمكننا الاعتماد عليه، حيث إنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد حفظه الله عز وجل على مر القرون من التبديل والتحريف.

ومن القصص القرآني التي تدل دلالة واضحة على تأثير الخوف في النفوس التي لم يكتمل إيمانها ، ومن ثم ترتد على أدبارها خاسرة، من هؤلاء قوم موسى عليه السلام في فترة من فتراتهم، وذلك عندما أمرهم نبيهم بدخول الأرض المقدسة، فامتنعوا من دخولها لخوفهم من سكانها الجبارين ذوي القوة الجسمية الكبيرة، .. قال تعالى يصف هذه الحادثة : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ

---

(١) ارجع إلى الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٥٥ .

فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة ٢١-٢٦] .

وإن القصة التي يوردها ابن كثير لتوضيح سبب خوف بني إسرائيل من القوم الجبارين، وإن كانت القصة رواية إسرائيلية «في سندها نظر» على حد تعبير ابن كثير – رحمه الله – إلا أنها تبين تأثير الرمز في النفس الإنسانية، والرمز يُغني عن الكلمات الكثيرة في مجال الحرب النفسية.

«أُمر موسى أن يَدخل مدينةَ الجبَّارين فسار موسى بمن معه حتى نَزَل قريباً من المدينة وهي (أريحاء) فبعث إليهم اثني عشر عَيْناً من كل سِبط منهم عَيْن ليأتوهُ بخبر القوم فدخلوا المدينة فرأوا أمراً عظيماً من هيئتهم وجسمهم وعظمهم، فدخلوا حائطاً لبعضهم فجاء صاحب الحائط ليجتنى الثمار من حائطه فجعل يجتني الثمار وينظر إلى آثارهم فتتبعهم فكلما أصاب واحداً منهم أخذه فجعله في كمه مع الفاكهة حتى التقط الاثني عشر كلهم فجعلهم في كمه مع الفاكهة وذهب بهم إلى ملكهم فنثرهم بين يديه، فقال لهم الملك: قد رأيتم شأننا وأمرنا فاذهبوا فأخبروا صاحبكم. فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عاينوا من أمرهم». وفي رواية أخرى «فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل فقالوا لهم: اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم: هذا قدر فاكهتهم « وطبعاً ، فإن كِبَر حجم الفاكهة رمز يدل على قوتهم وعظمتهم.. « فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما رأوا فلما أمرهم موسى عليه السلام بالدخول عليهم وقتالهم، قالوا: يا موسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا

قاعدون[١] وقولهم هذا كان نتيجة الخوف الذي زرعه العيون الذين أُرسلوا وكانوا وسائل لدعاية العدو. وهكذا نجد أنه عندما يضعف الإيمان يضعف الإنسان تجاه أعدائه، ويتحكم به الخوف، فيجبن ويولي مدبراً ، مؤثراً السلامة المؤقتة على السعادة الأبدية والأمان الزائف على النصر والعزة.

وفي مقابل هذه القصة، نجد أن الحربَ النفسية تصبح كلماتٍ جوفاءَ بوجود الإيمان الصادق والعزيمة الثابتة في قصة أصحاب الرسول ﷺ قبل وقعة بدر الكبرى. « قال ابن إسحاق: ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش أنكم إذا خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام:والله لا نرجع حتى نَرِدَ بَدْراً (وكان بَدر موسماً من مواسم العرب تجتمع لهم به سوقٌ كلَّ عام) فنقيمَ عليه ثلاثاً فننحر الجُزُرَ، ونطْعم الطعام، ونَسْقي الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمعُ بنا العرب وبمسيرنا وجَمْعِنا، فلا يزالون يَهَابوننا أبداً بعدها فامضوا»[٢] .ولم يرهب صحابة رسول الله ﷺ من قوله هذا.. وهذا يظهر واضحاً من قول المقداد بن عمرو رضي الله عنه لرسول الله ﷺ ، والرسول يستشير أصحابه وقد علم بخروج قريش والجمع الذي جمعوه..

« يا رسولَ الله اِمضِ لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقولُ لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون » ولكن اِذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سِرْتَ بنا إلى بَرْكِ الغِمَاد[٣] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٨ تفسير سورة المائدة .

(٢) سيرة ابن هشام ص ٢٥٨ج ٢ – دار الفكر.

(٣) برك الغماد: موضع في اليمن .

(٤) سيرة بن هشام ج ٢ ص ٢٥٣ وكذلك البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٦٢.

وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون، نتلمس أيضاً بعض أسلحة الحرب النفسية مثل الدعاية الكاذبة والمكر والسحر، وإن كانت الوسائل بدائية تختلف عن الوسائل الإعلامية الحديثة، إلا أنها كانت تؤدي الغرض المرسوم لها، فَرُدَّ مكرُهم وسحرهم وبالاً عليهم ونهايةُ فرعون تعبر عن نهاية الطغاة على مر العصور.

هذه الأسلحة التي أشرنا إليها نستطيع إيجازها بما يلي:

١- **الدعاية والإدعاء الكاذبان:** فرعون مصر على ظلمه وجبروته واستعباده لعباد الله يرى أنه على الحق، وأنه يهدي قومه سبيل الرشاد، والخير والصلاح.﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [غافر ٢٩] .

وهل طغاة اليوم البعيدون عن شريعة الله وهداه، إلا صورة مكررة من فرعون موسى عليه السلام ، الذين يظنون أنفسهم على حق وغيرهم على باطل.. وأنهم هم المصلحون وغيرهم المفسدون.

٢- **مقابلة الحق والهدى بالضلال والخداع والسحر:** وفرعون يقابل الحقائق الإلهية التي أتى بها موسى عليه السلام ومعجزاته بسحر خادع للعيون، ووهم تخيلي لاسترهاب الآخرين، وصرفهم عن الحق، وما أكثر ما استعملت أشكال الحرب النفسية لإرهاب الآخرين، وتخويفهم بأساليب هي أعتى من السحر، وخداع الرأي العام بالشعارات البراقة التي لا مضمون لها لصرف الناس عن الحق.﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ ﴾ [طه ٥٦-٥٨]

٣- **التخويف والإرهاب:** إدخال الخوف والرعب في نفوس الآخرين من أهم غايات الحرب النفسية قديماً وحديثاً، وهو سبيل الطغاة والظالمين في كل زمان، لأن الظالم لا يحب مَنْ يعترض عليه في ظلمه، ولا مَنْ ينطق بكلمة الحق، فهذا فرعون

مصر يهدد ويتوعد السحرة الذين آمنوا بموسى بعدما انكشف لهم الحق.﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ [طه ٧١] فكان ردّ المؤمنين، والذين لا يخيفهم من أحد إلا الله، مهما كانت قوة الطاغية وقسوة تعذيبه.﴿ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴾ [طه ٧٢] ولعل في هذه القصة درساً بليغًا لأجيال المؤمنين.. فالإيمان هو أقوى من كل حرب نفسية أو مادية، وأن الإيمان هو الصخرة الصلدة التي تقف في وجه الطغاة.

وفي قصة يوسف عليه السلام ملامح من الحرب النفسية أيضاً وأساليبها وبعض أشكالها نستطيع إيجازها فيما يلي:

١- المكر والخديعة، وإظهار النصح والحب، مع أن القلوب مُلئت حقداً وغيظاً وذلك بفعل إخوة يوسف عليه السلام الذين بيتوا ليوسف وأرادوا إبعاده عن أبيه، والتقرب إلى أبيهم وأن يحلوا محله:﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [يوسف ١١-١٢]

٢- الظهور بمظهر البرئ من الذنب لإبعاد التهمة: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [يوسف ١٦-١٧]

٣- إلصاق التهم الباطلة بالآخرين ، وستر الخيانة بستار من الدعاية الكاذبة المباشرة (الدعاية السوداء كما يطلق عليها حديثاً) – وهو ما كان من امرأة العزيز تجاه يوسف عليه السلام عندما حاولت إغواءه فأبى..﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يوسف ٢٥]

٤- **الشائعة وسرعة انتشارها في المجتمع**، وهي من أخطر أسلحة الحرب النفسية وموضوع الشائعة هنا « امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه » وأنها تحب فتاها... ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [يوسف ٣٠] ومادام الأمر يتعلق بامرأة العزيز والحديث علاقة حب وغير ذلك كان انتشار الشائعة بين النساء أكثر من الرجال.

٥- **التهديد والإرهاب للضغط على الآخرين**، وهنا امرأة العزيز على الرغم من انتشار خبرها في المدينة، وعلى الرغم من انكشاف أمرها، فإنها لا تزال مصرة على موقفها حتى تحقق رغبتها.. وها هي تخاطب النسوة اللواتي شاعت بينهم فضيحتها تقول لهم بدون حياء مهددة متوعدة:﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [يوسف ٣٢]

وفي قصص الأنبياء عليهم السلام أمثلة حية وبينة لأشكال مختلفة من هذه الحرب النفسية، بين الأنبياء وأقوامهم، كمثل الدعايات الكاذبة والاتهامات الباطلة وتهديدهم بالقتل والسجن..

وإن كلمة « الملأ » التي تتردد في القرآن الكريم وإن كانت تعني الأشراف والكبراء وأهل الرأي، ولكنها تعبر عن الرأي العام - في المصطلح الحديث - أو من يمثل الرأي العام الكافر في عهد الأنبياء عليهم السلام.. الذي وقف في صراع مع أنبياء الله، ومع المؤمنين الذين هداهم الله. هذا الملأ هو الذي شَنَّ الحرب النفسية على الأنبياء الذين ما أرسلوا إلا لهدايته إلى الطريق المستقيم، وإلى صراطه الحميد. وهي صورة واحدة تتكرر مع جميع أنبياء الله عليهم السلام - .

الملأ مع نوح عليه السلام - يتهمه بالضلال وهو الرسول من رب العالمين: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الأعراف ٦٠-٦١]

- ويتهمه بالكذب .. حاشاه: ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [هود ٢٧]

- والسخرية منه للإقلال من شأنه ونزع هيبته من الناس:﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ ﴾ [هود ٣٨]

- ومع صالح عليه السلام، يظهر الملأ بصورة المتكبرين على المؤمنين الضعفاء، ويجاهرون بكفرهم « لصالح » وهم الأقوياء المتكبرين: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الأعراف ٧٥-٧٦]

- ومع شعيب عليه السلام، الملأ من قومه يهددونه بالنفي من المدينة إن لم يرجع عن دينه الذي يدعو له وكذلك كل من يؤمن به:﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأعراف ٨٨]

وتهديد كل من يتبع شعيباً عليه السلام بالهلاك والخسران:﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأعراف ٩٠]

- وقد تقدم موقف فرعون من موسى عليه السلام، وهنا يتكرر الموقف مع الملأ من قومه؛ الافتراء، والكذب والمؤامرة والهمّ بالقتل، والاستكبار في الأرض والفساد، لذا فهم شركاء فرعون في الكفر، ورفاقه في النار ومن أجل هذا جعلهم الله عز وجل سواء في المسؤولية: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ (القصص ٨) .

هؤلاء الملأ يتهمون موسى عليه السلام بالسحر: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الأعراف ١٠٩] .

وكذلك فإن هؤلاء الملأ يدفعون فرعون للتخلص من موسى عليه السلام بحجة الإفساد في الأرض وهم المفسدون ولكن لا يشعرون: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف ١٢٧] .

والملأ يأتمرون بموسى عليه السلام ليقتلوه: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القصص ٢٠] .

وفي نهاية المطاف، فرعون الذي استخف قومه فأطاعوه، يستخف بهذا الملأ ويستخف بعقولهم، ويستخدم الميزان المادي ، ليعرف دعوة موسى عليه السلام أصادقة هي أم كاذبة .. فيصدقونه وقد عميت أبصارهم عن الحقيقة: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [القصص ٣٨] هذه صورة من صور الرأي العام الكافر وموقفهم من الأنبياء وأتباعهم من المؤمنين.

وصورة أخرى من صور الحرب النفسية « حرب العقيدة »؛ ومن التاريخ القديم ومن قصص الحق قصة «الراهب والغلام» التي قصها رسول الله ﷺ على الصحابة الكرام ليظهر لهم مقدار صبر المؤمنين في سبيل الله، ومقدار ما تعرضوا له من تخويف وتهديد وتقتيل، وما ردّهم هذا من دينهم الحق.

عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال: « كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إني قد كبرت فابعث إليّ غلاماً أعلمه السحر فبعث

إليه غلاماً يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهب فقعد إليه، وسمع كلامه فأعجبه. فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكى ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يبرئ الأكمه[1] والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً إنما الله فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال له الملك: من ردّ عليك بصرك قال: ربي. قال: ولك رب غيري. قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دلّ على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك: أي بني: قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك- فأبى، فدعا بالمئشار[2] فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى، فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فأصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به

---

(١) الأكمه : الذي خلق أعمى.

(٢) المئشار : رواية الأكثرين ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء وروى بالمنشار بالنون وهما لغتان صحيحتان (ارجع إلى شرح النووي).

الجبل فقال: اللهم اكفنيهم بم شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك ما فعل أصحابك قال: كفانيهم الله – فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور[(١)] فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه ، فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بم شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك ؟ قال: كفانيهم الله فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل باسم الله رب الغلام، ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبد السيف، ثم قال: باسم الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس. آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! آمنا برب الغلام! فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود في أفواه السكك، فخدت وأضرم النار.. وقال: من لم يرجع عن دينه فاحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تضع فيها فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق»[(٢)].

وقصة « الراهب والغلام» تعبر عن روح الطواغيت في كل زمان ومكان، هذه الروح التي لا تطيق رؤية من يخالفها في عقائدها وإن كانت باطلة، ولا ترغب بالتخلي عن استعبادها لعباد الله، وما تلجأ إليه من أساليب متنوعة في معاملة من يخرج عن خطها الفاسد الكافر من تخويف وإرهاب وتهديد، حتى لا تكون هناك عقيدة إلا عقيدتها، ولا نظام إلا نظامها.

---

(١) قرقور : بضم القافين السفينة الصغيرة (ارجع إلى شرح النووي).

(٢) رواه مسلم: ارجع إلى « صحيح مسلم بشرح النووي » ج ١٨ ص ١٣٠ باب « قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام».

وفي القصة نجد الملك الجائر يهدد الغلام بإلقائه من فوق الجبل فيموت، أو إلقائه في البحر فيغرق، ويهدد المؤمنين بالإحراق بالنار إن لم يرجعوا عن دينهم..

وهي صورة متكررة للطغاة وحربهم للمؤمنين والدعاة الصالحين في السجون المملوءة بأدوات التعذيب المختلفة الأشكال.

وإن استشهاد الغلام في نهاية القصة، وبالأسلوب الذي اختاره هو إذ قال للملك «إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به . قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثم خذ سهماً من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني».

هذا التدبير من قبل الغلام، كان أسلوباً إعلامياً ودعائياً عظيماً، كان من أهم آثاره إيمان الناس الذي جُمعوا لمشاهدة مصرع الغلام، وكان بمثابة برهان ساطع على صدق دعوته.. إذ إن الناس كانوا في حيرة من أمره، أيصدقونه وقد ظهرت على يديه الآيات، أم يكذبونه ويكونون مع الرأي العام الكافر ومع الملك.. وكانت الساعة الحاسمة في حياتهم أن رأوا الحقيقة في إبَّانها.. لم يستطع الملك قتل الغلام إلا عندما نطق: «باسم الله رب الغلام» فما كان منهم إلا أن قالوا جميعاً وبصوت واحد: «آمنا برب الغلام» .

وكان موت الغلام حياة للناس أجمعين.. وكان انتصاره على الخوف والإرهاب والتهديد بإيمانه وصدقه. وإننا لا نزال نكرر أن الإيمان الصادق وحده، هو الصخرة الصماء التي تتكسر عليها الحرب النفسية الموجهة من أعداء الله والإنسان.

ثانياً: الرسول ﷺ والحرب النفسية:

إن ما تعرض له رسول الله ﷺ من المشركين والمنافقين والكفار واليهود؛ ليعد من أشد ما تعرض له صاحب دعوة .. وأشكال محاربته ﷺ تعددت من حرب مادية إلى حرب نفسية، ويهمنا في هذا المجال ما تعرض له ﷺ وصحابته من حرب

نفسية بأسلحتها المختلفة من دعاية وشائعة وتكذيب وهُزء ، ومحاولات عديدة لإيقاف دعوته، بالإغراء بالمال والجاه والملك ثم بالتخويف والإرهاب. ونرى أن نقسم بحثنا إلى مرحلتين: المرحلة المكية ، والمرحلة المدنية.

المرحلة المكية:

نستطيع أن نوجز أسلحة الحرب النفسية التي استعملت من قبل المشركين بما يلي:

١- **الدعاية الكاذبة والتكذيب:** بدأت حرب قريش الدعائية بعد أن أمر الله عز وجل رسوله الكريم محمداً ﷺ بالجهر بالدعوة وإظهار الدين ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الحجر ٩٤] .

فأظهر المسلمون صلاتهم بعد أن كانوا يستخفون فيها، فأخذ المشركين يعيبون على المسلمين صلاتهم وينكرونها عليهم[1] وأغروا برسول الله ﷺ سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، وصور لنا القرآن الكريم هذه الحملة الدعائية، داعياً الرسول ﷺ إلى عدم الالتفات إليها باعتبارها دعاية كاذبة، وليمضي في دعوته مادام على الحق. قال تعالى: ﴿ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الطور ٢٩-٣٠] ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [الأنبياء ٥] ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الصافات ٣٦) .

والرد على الدعاية الكاذبة لا يكون إلا بالإعلام الصادق، من القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. والله عز وجل يُبرئ رسوله الكريم من هذه التهم الباطلة فيقول:﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٢٧٥. دار الفكر.

شَاعِرٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الحاقة ٤٠-٤٣).

ويقول الله تعالى مُسلياً نبيّه ﷺ في تكذيب قومه له ومخالفتهم إياه: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنعام ٣٣] أي لا يتهموك بالكذب في الأمر نفسه، ولكنهم يعاندون الحق ويدفعونه بصدودهم(١). ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام ٣٤].

وهذا من جملة التسلية لرسول الله ﷺ أي أن هذا الذي وقع من هؤلاء إليك ليس هو بأول ما صنعه الكفار مع من أرسله الله إليهم، بل قد وقع التكذيب لكثير من الرسل والمرسلين من قبلك فاقتد بهم، ولا تحزن، واصبر كما صبروا على ما كذبوا به، وأوذوا حتى يأتيَك نصرنا كما أتاهم فإنّا لا نخلف الميعاد(٢).

وهكذا نجد أن معاندة الحق من قبل مشركي قريش، مع علمهم بصدق الرسول ﷺ، وهو الصادق الأمين كما عرفوه، ولم يعلموا عنه كذبة واحدة في حياته الطويلة بينهم قبل الرسالة، هذه الصورة تتكرر دائماً في كل زمان ومكان مع أصحاب الدعوات الحقة والمعاندين من الطغاة البعيدين عن هدى الله .

٢- السخرية والاستهزاء : ولجأت قريش إلى أسلوب آخر من أساليب الحرب النفسية كثيراً ما اتبع حديثاً بصور مختلفة وهو أسلوب الهزء والسخرية من رسول الله ﷺ ومن آيات الله المنزلة عليه. ومن معجزاته ﷺ .

وأسلوب السخرية والاستهزاء يُتّبع لإسقاط الهيبة من الخصم في نفوس الناس فضلاً عن تغليف الحقائق بخلاف من عدم الجدية، لتمييع هذه الحقائق وإبعاد الناس

(١) تفسير ابن كثير – تفسير الآية (٣٣) من سورة الأنعام.

(٢) فتح القدير للشوكاني – تفسير الآية (٣٤) من سورة الأنعام.

عن احترامها أو التفكير فيها، وفي كلا الحالين ابتعاد الناس عمن توجه إليهم الحرب النفسية...

وقد اتبعت قريش[(١)] هذا الأسلوب، وقص علينا القرآن في كثير من آياته حالهم هذا: فهم يسخرون من الرسول ﷺ حين رؤيته، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلاَّ هُزُوًا أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴿٤١﴾ ﴾ [الفرقان ٤١] وقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأنبياء ٢٦] .

وكذلك هم يستهزئون بآيات الله: قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَـٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الكهف ٥٦] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الجاثية ٩] .

والله عز وجل لن يترك المستهزئين ، ولن يفلتوا من يده، والله كاف عبده محمداً ﷺ: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَـٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ [الحجر ٩٥][(٢)] .

ولن يفرح المشركون كثيراً بما عندهم من العلم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [غافر ٨٣] ،،،

وفي آية أخرى يترك مصير المستهزئين غير محدد إلا أن العذاب واقع بهم لا محالة، نتيجة استهزائهم : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُواْ فَسَيَأْتِيهِمْ أَنۢبَـٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الشعراء ٥-٦] يقول الشوكاني رحمه الله في تفسيره مبيناً تسلسل موقف المشركين في مكة من النبي

---

(١) المستهزئون كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة هم: ((الوليد بن المغيرة – والعاص بن وائل – والأسود بن المطّلب بن أسد – والأسود ابن عبد يغوث – والحرث بن الطلاطله)) .
انظر تفصيل ترجمتهم : البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ١٠٥، سيرة ابن هشام ٢/ ١٥-١٦، فتح القدير للشوكاني. تفسير سورة الحجر (٣/ ٤٤).

(٢) المرجع السابق – للإطلاع على ما أصاب المستهزئين في الدنيا كما روت كتب السيرة.

ﷺ : « ... فالإعراض عن الشيء عدم الالتفاف إليه، ثم انتقلوا عن هذا على ما هو أشد منه وهو التصريح بالتكذيب، ثم انتقلوا عن التكذيب إلى ما هو أشد منه وهو الاستهزاء كما يدل عليه قوله (فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) والأنباء هي ما يستحقونه من العقوبة آجلاً وعاجلاً. وسميت أنباء لكونها مما أنبأ عنه القرآن وقال: « ما كانوا به يستهزئون » ولم يقل ما كانوا عنه معرضين أو ما كانوا به يكذبون، لأن الاستهزاء أشد منهما ومستلزم لهما وفي هذا وعيد شديد[١].

٣- التشهير والشتم: ولجأت قريش أيضاً إلى شتم رسول الله ﷺ . وذلك للتقليل من شأنه وإظهار ضعفه أمام الناس في مكة.

يروي ابن إسحاق، أن أم جميل[*] « حمالة الحطب» كانت تهجو النبي ﷺ بعد ما نزل فيها من القرآن الكريم وعرفت ما ينتظرها من سوء المصير.. فقد كانت ترتجز: «مُذَمَّماً عَصَينا، وأَمْرَه أَبَيْنَا ، ودينه قَلَينا ».

وكانت قريش إنما تسمي رسول الله ﷺ مُذَمَّماً ، ثم يسبونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: « ألا تعجبون لـمَّا صرفَ الله عني أذى قريش يَسُبون ويهجُون مُذَمّماً وأنا محمد»[٢].

وأن أمية بن خلف كان إذا رأى رسول الله ﷺ هَمَزَهُ ولَمَزَه ، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ [الهمزة ١][٣].

وكذلك أطلقت قريش على الرسول الكريم ﷺ لقَب الأَبْتر، وذلك لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال بُتِر محمد فنزلت الآية:

---

(١) فتح القدير – جـ ٤ ص ١٩٤ (تفسير سورة الشعراء).

(*)أم جميل أروى بنت حرب بن امية أخت أبي سفيان زوجها أبولهب: عبد العزى ابن عبد المطلب.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام – ج١ ص ٣٧٨ (رجل مذمم: مذموم ج١ القاموس مادة : ذمه).

(٣) المرجع السابق: وقال ابن هشام: والهُمَزة الذي يشتم الرجل علانية ويكسر عينه، واللمزة الذي يعيب الناس سراً ويؤذيهم.

﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ﴾ [الكوثر ١-٣] وقيل القائل هو عقبة بن أبي معيط»[١].

ويروى الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما « قوله: إن شانئك هو الأبتر قال هو العاص بن وائل»[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش، ليس له ولد، وسيموت وينقطع أثره فأنزل الله تعالى سورة الكوثر إلى: «إن شانئك هو الأبتر» يعني شانئ محمد ﷺ هو الأبتر»[٣].

٤- **التعتيم والتشويش**[٤]: حينما يئست قريش من غلبة رسول الله ﷺ بالحجة والبرهان لجأت إلى ما يسمى اليوم « بالتعتيم الإعلامي» و«التشويش الإعلامي».

وهذا الأسلوب كثيراً ما تلجأ إليه الدول المتخاصمة، أو يلجأ إليه الحاكم المستبد، حتى لا تصل الحقائق إلى الآخرين، والتشويش على الحقائق الذي يذيعها الخصم...

ومعروف لدينا أجهزة التشويش الحديثة التي تستخدمها الدول الآن – وخاصة أثناء الحروب..

وما صنعته قريش لا يخرج عن هذا الإطار ، وذلك بعد ان لَجُّوا في كفرهم وعنادهم.﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ

---

(١) فتح القدير للشوكاني (تفسير سورة الكوثر).

(٢) تفسير الطبري . تفسير سيرة الكوثر.

(٣) أخرجه رزين – جامع الأصول ٢/ ٤٣٦.

(٤) جاء في مختار الصحاح « مادة : شوش » : (التشويش : التخليط ، وقد (تشوّش عليه الأمر).
إلا أن صاحب القاموس يقول : « مادة شاش»: (والتشويش والمشوّش والتشوش كلها لحن والصواب: التهويش والمهوّش والتهوُّش).
وفي مادة: هوش هوش تهويشاً: خلط ... انتهى.
وآثرنا استخدام التشويش لاشتهارها على أنها مصطلح إعلامي فضلاً عن أن لها أصل.

﴿٢٦﴾ [فصلت ٢٦.] «أي إذا تُلي لا تستمعوا له – كما قال مجاهد – وألغَوا فيه بالمُكاء والصَفير والتخليط في المنطق[١].

وهكذا نجد أن هذه الآية تبين أسلوب الكفار في التعتيم والتشويش.. ففي قوله تعالى: « وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن» التعتيم على القرآن الكريم في عدم سماعه والإنصات إليه.. حتى لا يؤثر فيهم.

وفي قوله تعالى: «والغَوْا فيه » أي ارفعوا أصواتكم ليتشوش القارئ له.. وقال الضحاك، أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول»[٢].

بالإضافة إلى قول مجاهد: إلْغَوا فيه بالمكاء والتصدية والتصفيق والتخليط في الكلام حتى يصير لغوا»[٣].

وكل هذه المعاني تعبر عن مفهوم التشويش الواضح الدقيق في الوقت الحاضر...

ولكن هذا كله ذهب أدراج الرياح وغَلَب القرآن الكريم، لأنه يحمل سر الغَلب، إنه الحق، والحق غالب مهما جَهِدَ الـمُبطلون.

٥- **التيئيس والتعجيز**: ولجأت قريش إلى ملاحقة خطوات الرسول ﷺ وهو يدعوا إلى الله، لينفروا الناس من حوله، وليعبدوهم ما استطاعوا عن دعوته.. لعله يفتر ويمل وييئس، وأنى لهم هذا وهو رسول رب العالمين.. المؤيد بالآيات والذكر الحكيم..

- أخرج ابن إسحاق عن ربيعة بن عباد رضي الله عنه قال: إني لغلام شاب مع أبي بمنى ورسول الله ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب فيقول « يا بني

---

(١) تفسير ابن كثير (تفسير الآية ٢٦ من سورة فصلت).

(٢) فتح القدير – تفسير الآية..

(٣) فتح القدير – تفسير الآية ٢٦ من سورة فصلت.

فلان، إني رسولُ الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي، وتمنعوني حتى أبَيِّن عن الله ما بعثني به» قال: وخَلْفه رجل أحْوَل وضيء له غديرتان عليه حُلة عَدَنة. فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان: إنَّ هذا إنما يدعوكم أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفائكم من الجن من بني مالك ابن أُقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه.

قال: فقلت لأبي: يا أبت... من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟. قال هذا عمه عبد العزى بن عبد المطلب أبو لهب[1].

وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لقد كان رسول الله ﷺ يخرج في المواسم فيدعو القبائل، ما أحد من الناس يستجيب له ويقبل منه دعاءه فقد كان يأتي القبائلَ بمِجِنَّةٍ وعُكاظ وبمنى[2] حتى يستقبلَ القبائلَ يعودُ إليهم سنة بعد سنة حتى أن القبائلَ مِنْهم مَنْ قال: ما آن لك أن تيئس؟.

ويقص علينا القرآن محاولة تعجيز الرسول ﷺ من قبل الملأ من قريش وأنهم علّقوا إيمانهم حتى يُجيبهم إلى طلبهم، وما كان هدفهم الإيمان، وإنما العناد والتعجيز، ومحاولة إثْنَاء الرسول ﷺ عن تبليغ رسالته، قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء ٩٠-٩٣] .

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ١٣٨.

(٢) مجنة وعكاظ ومنى مواضع قرب مكة المكرمة.

وقريش غفلت عن المعجزة الباقية في القرآن ، فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية، ويتعنتون في اقتراحاتهم.

« والخارقة ليست من صنع الرسول، ولا هي من شأنه، إنما هي من أمر الله سبحانه وفق تقديره وحكمته، فأدب الرسالة وإدراك حكمة الله في تدبيره يمنعان الرسول أن يقترح على ربه ما لم يصرح له به « قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً » يقف عند حدود بشريته، ويعمل وفق تكاليف رسالته، لا يقترح على الله ولا يتزيد فيما كلفه إيَّاه»[1].

وفي أول سورة فصلت يصور لنا الله عز وجل أسلوب التيئيس الذي اتبعته قريش مع الرسول ﷺ ليكف عن دعوتهم..

قال تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ ﴾ (فصلت ١-٥) .

وقول كفار قريش في الآية الأخيرة آنفاً، إمعاناً في العناد، وتيئيساً للرسول ﷺ ليكف عن دعوتهم، لما كانوا يجدونه في قلوبهم من وقع كلماته، على حين يريدون عامدين ألا يكونوا مؤمنين.

قالوا: قلوبنا في أغطية فلا تصل إليها كلماتك، وفي آذاننا صمم فلا تسمع دعوتك. ومن بيننا وبينك حجاب، فلا اتصال بيننا وبينك، فدعنا واعمل لنفسك فإننا عاملون لأنفسنا، أو أنهم قالوا غير مبالين: نحن لا نبالي قولك وفعلك وإنذارك ووعيدك، فإن شئت فامض في طريقك فإنا ماضون في طريقنا، لا نسمع لك وافعل ما أنت فاعل، وهات وعيدك الذي تهددنا به فإننا غير مبالين.

---

(١) ارجع إلى « في ظلال القرآن » جـ ٤ ص ٢٢٥٠ (تفسير الآيات في سورة الإسراء).

هذا نموذج مما كان يلقاه صاحب الدعوة الأول ﷺ ثم يمضي في طريقة يدعو ويدعو لا يكف عن الدعوة. ولا ييئس ولا يستبطئ وعدَ الله له ولا وعيده للمكذبين..»[١].

٦- **الضغط العائلي** : وحاولت قريش الضغط على رسول الله ﷺ حتى يكف عن دعوته، وتسفيه أصنامهم، فاستعانت بعمه أبي طالب وقالوا « يا أبا طالب، إن ابن أخيك يأتينا في أفنيتنا وفي نادينا فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفه فافعل».

فقال أبو طالب للنبي ﷺ : « يا ابن أخي: والله ما علمتُ إنْ كُنت لي مطاعاً وقد جاء قومك يزعُمون أنك تأتيهم في كعبتهم وفي ناديهم تُسمعهم ما يؤذيهم، فإن رأيت أن تكف عنهم. فحلق ببصره إلى السماء فقال: والله ما أنا بأقْدرِ أن أدع ما بُعِثتُ به من أن يُشعل أحدُكم من هذه الشمس شعلة من نار. فقال أبو طالب: والله ما كذَبَ ابنُ أخي قط ارجعوا راشدين»[٢].

وفي رواية أخرى أن أبا طالب قال له ﷺ : يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا فابق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فظن رسول الله ﷺ أن قد بدا لعمه فيه، وأنه خاذله ومسلمه، وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ : « **يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه** »، ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكى...

---

(١) في ظلال القرآن (تفسير الآيات الأول من سورة فصلت).

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط والكبير.. وقال الهيثمي (ج ٦ ص ١٤) : رواه الطبراني وأبو يعلي باختصار يسير من أهله، ورجال أبي يعلي رجال الصحيح . انتهى.
وأخرجه البخاري في التاريخ بنحوه كما في البداية (ج٣ ص ٤٣).

حين ذاك قال أبو طالب «امض على أمرك وافعل ما أحببت ، فو الله لا أسلمك لشيء أبداً»[١] .

وهل تظن قريش أن المسألة خلاف شخصي يمكن أن يحل بتوسط كبير العائلة أو القبيلة.. إنها دعوةُ الله .. التي هي أكبر من أي عرف ومن كل ضغط، وموقفه ﷺ نموذج لمواقف الثبات على الحق والصلابة في الرأي.. والتي يجب أن يسير على منوالها الدعاة إلى الله على مر التاريخ.

٧- **الإغراء بالمال والملك:** واتبعت قريش مع الرسول ﷺ أسلوب الإغراء بالمال والملك لتحويل الرسول الكريم عن وجهته، بتبليغ دعوته وتسفيه أحلامهم وعقائدهم؛ وهذا الأسلوب طالما اتبع حديثاً في الحرب النفسية التي تشن على الدعاة والمخلصين، وإغرائهم بالمال والوظائف العالية، وقد يستجيب أصحاب النفوس المريضة لهم ويتخلوا عن مبادئهم..

واتبعت قريش أسلوب الإغراء هذا.. مع الرسول ﷺ ظانة أن الأمر قضية شخصية، أو دعوة لآرائه وأفكاره.. ! لننظر إلى محاولة الإغراء عند أهل السيرة: «قال ابن إسحاق: إن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً ، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقومُ إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيّما شاء ويكفُّ عنا، وذلك حين أسلم حمزة، ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون فقالوا : بلى يا أبا الوليد، قم إليه فَكَلّمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ . فقال: يا ابن أخي، إنّك منا حيث قد علمت من السِطَة[٢] في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرّقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت

---

(١) رواه البيهقي – كذا في البداية (ج٣ ص ٤٢).

(٢) السِطَة بكسر السين وفتح الطاء مخففة: المنزلة الرفيعة.

به آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها. قال: فقال رسول الله ﷺ : « قل يا أبا الوليد أسمع» قال: « يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكونَ أكثرَنا مالاً، وإن كنت تريد بما جئت به شرفاً سوَّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رأياً تراه لا تستطيع ردّه عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبريك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: « أقد فرغت يا أبا الوليد»؟ قال: نعم. قال: « فاستمع مني» قال: افعل فقال: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [فصلت ١-٥] .

ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه كلما سمعها عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً ما سمعتُ مثلَه قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا بالكهانة، يا معشر قريش أطيعوني ، واجعلوها بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه،فاعتزلوه فوالله ليكونَنَّ لقولِهِ الذي سمعتُ منه نبأ عَظيم.

فإن تصبه العربُ فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فمُلكُه ملكُكُم وعزُّهُ عِزُكم، وكنتم أسعدَ الناسِ به. قالوا: سَحَرَكَ واللهِ يا أبا الوليد بلسانه، قال هذا رأيي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم»[١].

٨ - **المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية**: ولجأت قريش إلى سلاح المقاطعة، وذلك عندما رأت أن الإسلام ينمو بين القبائل.. ولم ينفع ملاحقة المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وأن حمزة أسلم وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقررت قريش مقاطعة الرسول ﷺ اقتصادياً واجتماعياً في كتاب يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً، ولا يبتاعوا منهم « وكتبوه في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم.. وبقي الرسول ﷺ وصحابته ثلاث سنوات متواليات على هذه الحال لا بَيْع ولا شراء ولا زواج.. ورسول الله صابر وهو يرى ما يؤلمه؛ زوجه خديجة الطاعنة في السن وعمه أبو طالب وبقية آله وأصحابه، ومع ذلك لم يتوقف يوماً عن تبليغ دعوته ليلاً ولا نهاراً... وسراً وجهاراً .

أخرج أبو نعيم عن سعد، رضي الله عنه، قال: كنا قوماً يصيبنا ظلف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومَرَنّا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتَني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبول، وإذا أنا أسمع بقعقعةِ شيء تحت بولي فإذا قطعةُ جلد بعير، فأخذتها فغسلتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرتين ثم استفها وشربت عليها من الماء فقويت عليها ثلاثا»[٢].

وبقي بنو هاشم وبنو المطلب في شعب أبي طالب حتى جهدوا من ضيق الحصار، وأكلوا ورق السمر[٣]، وأطفالهم يتضاغون من الجوع حتى يُسمعَ بكاؤهم

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٤، وأيضاً البداية والنهاية ٣/ ٦٣.

(٢) الحلية ج١ ص ٩٣.

(٣) السمر نوع من الشجر ويسمى شجر الطلح ينبت في شعاب مكة.

من بعيد، وقريشُ تحول بينهم وبين التجار فيزيدون عليهم في السلعة أضعافاً حتى لا يشتروها..

هكذا ضرب الصحابة مثلاً رائعاً في الثبات على الحق، والصبر على الشدائد، والتضحية بكل غال في سبيل الله دون أن يتنازلوا قيد شعرة عن عقيدتهم.. حتى قام نفر من قريش من أهل المروءة في نقض الصحيفة وبكل ما فيها من الظلم[(١)].

وهكذا نجد أن هذه المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية لم تزد الجماعة المسلمة إلا ثباتاً على الحق.. وذلك بوجود الإيمان الصادق .. والذي تتحطم على صخرته كل الحروب النفسية والمادية..

٩ - **الإرهاب والتآمر**: تفنن الطغاة في كل زمان في أساليب الحرب النفسية الموجهة إلى خصومهم.. بل قد استعانوا بالخبراء في الإرهاب والتآمر والتعذيب وغسيل الدماغ، وغايتهم واحدة هي ارتداد هؤلاء الخصوم عن عقيدتهم التي يؤمنون بها.. إلى ما يرغب الطاغية وما يريد..

هذه الصورة الحديثة من الحرب النفسية وما تتضمنه من إرهاب وتآمر وقتل وتعذيب تنطبق أيضاً من حيث المضمون على ما أصاب الرسول ﷺ والمسلمون على يد مشركي قريش، فبينما النبي ﷺ ساجد - ذات يوم - في المسجد وحوله أناس من قريش، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلا جزور[(٢)] فقذفه على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه، فجاءت ابنته فاطمة - عليها السلام - فأخذته من ظهره ودعت على من صنع هذا .. ودعا عليهم النبي ﷺ[(٣)].

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٩٥.

(٢) سلا جزور : وهو اللفافة يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الآدمية والمشيمة.

(٣) رواه البخاري في باب « ذكر ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة. (ج ٧ ص ١٦٤ - فتح الباري).

وفي آخر المطاف تتآمر قريش على قتل النبي ﷺ بعد أن عجزت عن إيقاف دعوته، التي أخذت تمتد إلى خارج مكة.. وذلك قبيل هجرته ﷺ إلى المدينة..

« قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منعة، فَحَذِروا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة .. يتشاورون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم وإننا والله ما نَأْمَنُهُ على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً.

فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والنابغة، ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدي[1]: لا والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم، ما هذا لكم برأي». فتشاوروا ثم قال قائل منهم:نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فإذا خرج عنا فو الله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وإلفتنا كما كانت. قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير

---

(١) الشيخ النجدي : إبليس لعنه الله في صورة شيخ اشترك مع أشراف قريش في دار الندوة للتآمر على النبي ﷺ (البداية والنهاية ٣ / ١٧٥).

بهم إليكم حتى يطأكم بهم فيأخذوا أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد، أو يروا فيه رأياً غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه رأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد.

قالوا : وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ثم نعطي كلَّ فتى سيفاً صارماً، ثم يَعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً. فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم. فقال الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأي غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم يجمعون له[1].

قال ابن إسحاق: فكان مما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال ٣٠] وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الطور ٣٠-٣١] قال ابن إسحاق: فأذن الله لنبيه ﷺ بالهجرة[2].

١٠- السجن والتعذيب: وكان نصيب المسلمين السجن والتعذيب بعدما يئست قريش من رسولِ الله ﷺ ومن عمه أبي طالب. « فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يَصلب لهم ويعصمه الله منهم[3].

---

(١) البداية والنهاية ٣/ ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) المرجع السابق ص ١٧٧.

(٣) سيرة ابن هشام ج١ص ٣٣٩ - ٣٤٠. وطبقات ابن سعد ج٣ ص ٨٢. والاستيعاب ج١ص٢٨٨.

وما حدث لبلال رضي الله عنه وآل ياسر رضي الله عنهم من العذاب والفتنة، ومن ثم استشهاد أم عمار في سبيل الله وهي تحت العذاب.. ليذكرنا بالأساليب الرهيبة لزبانية طغاة اليوم، واستشهاد المئات في السجون، وليس لهم من ذنب إلا أن يقولوا ربنا الله. والتاريخ يعيد نفسه في حرب الإسلام والمسلمين.. وكما انتصر المسلمون بعون الله ورعايته لرسوله وللمؤمنين.. فكذلك سينتصر المسلمون الصادقون إن نصروا الله وأخلصوا له النية.. وأعدوا للصراع عدته.. ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج ٤٠] .

والسجن لمدة طويلة من أساليب الحرب النفسية.. وفيه تتم عمليات غسيل الدماغ[١]، والتلقين للمبادئ التي يرغب بها الطاغية ، وذلك لشعور السجين وعزلته عن الدنيا والناس والأهل والأصدقاء .. بشكل يضطر فيه السجين إلى إعادة التفكير بما هو فيه وبما يؤمن به.. وما في السجن من إذلال لشخصيته، وخراب لتجارته وانقطاع لسبل معاشه.. وما ينتظر أهله وأولاده من الفاقة ، والذل يساعد على الرجوع عما يؤمن به السجين إلا من عصمه الله.

وإذا رافق السجن التعذيب، الرهيب، وما يتفنن به الطغاة من أنواع التعذيب تصير النتيجة أدهى من ذلك..

وهذا قول أبي جهل أخزاه الله: «إذا سَمِعَ بالرجل قد أسلم له شرفاً ومَنَعه أنَّبهُ وخَزَّاه، وقال :تَركتَ دينَ أبيك وهو خير منك، لنسفهَنَّ حِلْمُك ولَنفلينَّ رأيك[٢]، ولنضعن شرفك، وإن كان تاجراً قال: والله نكسدن تجارتك، ولنهلكن مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به»[٣].

---

(١) انظر أسلحة الحرب النفسية – البحث الأول .. فقرة غسيل الدماغ في الفصل الثالث من هذا البحث.

(٢) قوله لنفلين رأيك: اي لنقبحه ونخطئنه كما في القاموس.

(٣) سيرة ابن هشام ج١ ص ٣٤٢.

وهكذا كان المشركون يحاربون المسلمين نفسياً ومادياً.. أما الضعفاء من المسلمين، مَنْ ليس لهم قبيلة تحميهم كان العذاب والسجن مصيرهم وربما القتل في النهاية.

قال ابن إسحاق: « حدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبد الله بن عباس: أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذبون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به، حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة..»[١].

ومن المؤمنين من يصبر على الأذى الشديد ويعصمه الله من الفتنة.. يقول خباب بن الأرت: لقد رأيتني يوماً أخذوني فأوقدوا لي ناراً ثم سلقوني فيها، ثم وضع رَجُلٌ رجله على صدري، فما اتقيت الأرض أو قال برد الأرض – إلا بظهري، ثم قال كشف عن ظهره فإذا هو قد برص[٢].

ولعل الأبيات التي قالها عبد الله بن الحرث بن قيس بعد هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة ما يصور ما أصاب المسلمين في مكة من اضطهاد وفتنة[٣]:

يا راكبا بلغا عني مغلغلة مَن كان يرجو بلاغ الله والدين[٤]
كل امرئ من عباد الله مُضْطَهَدٌ ببطنِ مكة مقهورٌ ومفتونُ
أنا وجدنا بلاد الله واسعة تنجي من الذل والمخزاة والهون

(١) المصدر السابق ص ٣٤٢.
(٢) طبقات ابن سعد ج٣ ص ١١٧.
(٣) سيرة ابن هشام ج١ص ٣٥٣.
(٤) مغلغلة : الرسالة ترسل من بلد إلى بلد.

المرحلة المدنية:

واجه الرسول ﷺ الحرب النفسية التي شنت عليه من جبهتين في المدينة وهما:

أولاً: جبهة المنافقين.

ثانياً: جبهة اليهود.

ويمكن أيجاز الغاية من حربهما للرسول ﷺ بما يلي:

- هزيمة الرسول ﷺ وصحبه في قتالهم مع مشركي قريش.
- القضاء على الدعوة وتمكين المشركين واليهود من التسلط على المدينة.

وكان سلاح كل من المنافقين واليهود في هذه الحرب هو:

١- إثارة الشائعات المختلفة حول الرسول ﷺ وأهله لإزالة قدسية الدين ومن ثم إظهار الرسول ﷺ بالمظهر الإنساني العادي.

٢- الدعايات الكاذبة، واستخدام الشعر في ذلك للتشهير بالرسول وصحبه.. وسنرى - بإذن الله - كيف حاول كل من المنافقين واليهود الوصول إلى غاياتهم.. إلا أنهم ووجهوا بالإيمان الصادق، والعزيمة ، والشجاعة .. والوعي العميق مما أفشل هذه الحرب، ورد كيدهم في نحورهم.. وجاء نصر الله والفتح .. ودخل الناس في دين الله أفواجاً...

أولاً - جبهة المنافقين: بعد أن قام المجتمع الإسلامي في المدينة، وأصبح للمسلمين قوة ودولة، أخذت ظاهرة النفاق تبرز على السطح ، لذا لم يكن في مكة نفاق[1] لأن الإسلام هناك كان مغلوباً على أمره ولا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، بل إن من

---

(١) وهو الذي يرجحه أكثر المفسرين والمؤرخين، وجميع السور التي ذكر فيها النفاق مدنية، وقد جاء في سورة التوبة ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ ﴾ [التوبة ١٠١].

يدخل فيه يعرض نفسه للخطر والضرر.. والنفاق « ظاهرة طبيعية نفسية تظهر في بيئة تجمع بين دعوتين متنافستين وقيادتين متقابلتين، هناك يوجد عنصر مضطرب يتأرجح بين هاتين الدعوتين ويتردد في إيثار إحداهما على أخرى، وقد ينحاز إلى دعوة، فيكون في معسكرها، ويعطيها ولاءه وحبه العاطفي، إلا أن مصالحه المادية، وانتشار الدعوة المقابلة وانتصارها.. كل ذلك لا يسمح له بإعلان موقفه والانضواء إلى الدعوة الأولى، وقطعه للحبال التي تربطه ببيئته الأولى.

وقد صور القرآن هذا الموقف المضطرب تصويراً دقيقاً، فقال:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[الحج ١١].وهم الذين وصفهم بقوله:﴿ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ ﴾[النساء ١٤٣][(١)].

وكان سلاح المنافقين في حربهم النفسية الدعاية الكاذبة والشائعة:

(١) **الدعاية الكاذبة** : وتهدف هذه الدعاية إلى تفتيت الصف المسلم، وخلخلته وإضعافه أمام خصمه مشركي قريش.

ولكي يضمن المنافقون نجاحهم في هذه الدعاية لابد وأن يظهروا بمظهر المسلمين الصادقين، فهم تارة يشهرون إسلامهم أمام الرسول ﷺ : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون ١] ، وهم تارة يظهرون إيمانهم الكاذب، وغايتهم الصد عن سبيل الله، مطمئنين أن الإيمان الذي يظهر ما هو إلا جُنَّة يعصمهم من التكذيب: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [المنافقون ٢] .

---

(١) السيرة النبوية – الندوي – ص ١٥٧.

والمنافقون مظهر خادع، وكلامهم ظاهره مقنع.. ولاشك أن من عوامل نجاح الدعاية الظهور بمظهر الصدق أمام الناس، واتخاذ أسلوب الإقناع العقلي، وهكذا وصفهم القرآن: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [المنافقون ٤]

وقوله تعالى: « فاحذرهم » تبيان لخطرهم الكبير في الصف المسلم، والخداع المسلم بهم.. أما إذا كشف أمرهم، وظهروا على حقيقتهم، صدوا عن سبيل الله ولم يقبلوا هدى الله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [المنافقون ٥] .

وفي صدر سورة البقرة وصف دقيق للمنافقين وأخلاقهم ذات الوجهين، وادعائهم الإيمان والإصلاح، وتآمرهم مع رؤسائهم اليهود على المسلمين فنزلت الآيات تكشفهم وتعريهم أمام المؤمنين: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [البقرة ٨-١٥] .

وهناك ثلاثة مواقف للمنافقين تبين دعايتهم الخبيثة على سبيل المثال لا الحصر وهذه المواقف هي:

أ) موقف المنافقين قبل غزوة الأحزاب وكان دورهم التثبيط عن الجهاد وخلخلة الصف المسلم، وكانت الدعاية في ذلك الوقت تجد أرضاً خصبة لها.. إذ النفوس متوفزة ، والخوف مخيم على القلوب.. ومن هنا يأتي خطر المنافقين على الصف المسلم.. إن وجدت دعاية المنافقين قبولاً لديه. لذا كانت رعاية الله لرسوله وللمؤمنين في الكشف عن شخصية المنافقين ودخيلة نفوسهم وجبنهم في القتال. قال تعالى: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الأحزاب ١٨-١٩]

ب) وموقف آخر أثناء المعركة، وفي غزوة أحد، إذ أشاع المنافقون أن الرسول ﷺ قد قتل، وذلك بعد أن كسرت رباعيته وشُجّ وجهه ﷺ .. وسرعان ما انتشرت الشائعة في صفوف المؤمنين والمشركين ، ولقد كان يوم بلاء وتمحيص، وكانت دعاية المنافقين والمشركين ذات أثر بالغ في صفوف المسلمين فتوقف بعضهم عن القتال .. وكانت كلمة أنس بن النضر، رضي الله عنه، الصادقة بمثابة الدعاية المضادة .. وذلك عندما رأى رجالاً من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم « فقال ما يجلسكم ؟ قالوا : قتل رسول الله ﷺ . قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا وموتوا على ما مات عليه رسول الله ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل، رضي الله عنه»[1].

ج) وموقف ثالث للمنافقين، يتبين فيه دورهم في تثبيط المسلمين عن الجهاد حتى يهزموا في المعركة، وذلك في « غزوة أحد » عندما تخاذلوا وخافوا على

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣١.

أنفسهم من القتل.. ولاشك أن تخاذل جزء من الجيش في المعركة، يضعف الجيش ويوهنه.. مادياً ومعنوياً .. وقد كشف الله تعالى هذه الطائفة ، وأظهر خبيئة نفوسهم بقوله: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٥٤] .

وهذه الطائفة « هم المنافقون لا همّ لهم غير أنفسهم، فهم من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل قد طار عن أعينهم الكرى يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكا في أمر الله وتكذيباً لنبيه ﷺ»(١) .

ومن الظن غير الحق بالله أن يتصوروا أنه – سبحانه – مضيعهم في هذه المعركة التي ليس لهم من أمرها شيء ، وإنما دُفعوا إليها دفعاً ليموتوا، والله لا ينصرهم ولا ينقذهم إنما يدعهم فريسة لأعدائهم ويتساءلون: « هل لنا من الأمر شيء؟».

وتتضمن قولتهم هذه الاعتراض على خطة القيادة والمعركة والتشكيك فيها والتحريض على عصيانها.

وكان الرد المباشر لدعايتهم ومحاولات التحريض والتشكيك .. إذاعة الحقيقة في إبانها، لتصحيح أمر الحياة والموت والابتلاء .. وأن هذه الأمور كلها من الله عزوجل : ﴿ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٥٤] .

---

(١) الطبري في تفسيره هذه الآيات من سورة آل عمران.

(٢) الشائعة: تعد الشائعة من أخطر أسلحة الحرب النفسية.. وسندرسها بشكل مفصل بإذن الله .. ونتعرض هنا إلى ما لاقاه الرسول ﷺ من اليهود والمنافقين من شائعات تهدف إلى هدم الدعوة وقدسيتها في نفوس المسلمين في الدرجة الأولى، بالإضافة إلى التشهير بأهله وبعرضها، وهي الطاهرة النقيّة.. وإن من أخطر ما تعرض له رسول الله ﷺ من شائعات.. ما يعرف بقصة الإفك أو حادث الإفك .. وقد ذكرها القرآن الكريم[١] وبسطتها كتب الحديث[٢] ، ولعل من المفيد ذكرها باختصار: « كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً، أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وخرج سهم عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فخرج بها رسول الله ﷺ فلما فرغ من سفره ذلك توجه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم آذن بالرحيل، وخرجت عائشة لبعض حاجتها، وفي عنقها عقدها، فانسل من حيث لا تشعر، فلما رجعت إلى الرحل فقدت العقد فذهبت تبحث عنه وقد أخذ الناس في الرحيل، فجاء القوم الذين كانوا يرحلون لها البعير، فأخذوا الهودج، وهم يظنون أنها فيه، وكانت فتاة صغيرة السن، خفيفة اللحم، فلم ينتبهوا لخفتها، ولم يشكوا أنها فيه، ورجعت عائشة إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب قد انطلق الناس، فتلففت بجلبابها واضطجعت في مكانها.

وبينما هي كذلك إذ مر بها صفوان بن المعطل السلمي، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلما رآها استرجع وقال: ظعينة رسول الله ﷺ : ثم قرب

---

(١) سورة النور آية ١١ – ١٢.

(٢) ارجع إلى البخاري، وقد ذكرها في أبواب كثيرة منها: في تفسير سورة النور باب : «لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً» .. وهي في مسلم رقم (٢٧٧٠) في التوبة: باب حديث الإفك . وفي الترمذي رقم (٣١٧٩) في التفسير باب: ومن سورة النور. والنسائي ١/١٦٣ – ١٦٤ في الطهارة باب بدء التيمم.

البعير واستأخر، فركبت وأخذ برأس البعير، وانطلق سريعاً يطلب الناس فأدركهم، وقد نزلوا، ولحقت بالركب فلم يرع الناس شيء، فكان مما ألفوه .. وكانت القضية لا تسترعي انتباهاً، ولكن عبد الله بن أبي تبنى هذه القضية وتحدث بها بعد عودته إلى المدينة، وشايعه أصحابه من المنافقين واهتبلوها لإثارة القضية بين المسلمين وإضعاف الصلة التي تربطهم بمقام صاحب الرسالة العظمى ومن يتصل به من أهل، وإضعاف ثقة المسلمين بعضهم بأمانة بعض، وتورط في هذه المكيدة عدد قليل من المسلمين الذين أصبحوا فريسة التشهي للحديث والتزويد لكل ما قيل من غير تمحيص، فلما سمعت بذلك عائشة، وفوجئت به في المدينة فزعت له، وحزنت حزناً شديداً حتى لا يرقى لها دمع ولا تكتحل بنوم، وكبر على رسول الله ﷺ وعرف مصدره فقام من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين! من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت فيه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي، وغضب رجال من الأوس لرسول الله ﷺ، وأبدوا استعدادهم لقتل من تولى كبر هذه المقالة إن كان من الأوس أو من الخزرج، وكان عبد الله بن أبي من الخزرج ، فاحتملت بعضهم الحمية ، وثار الحيان، وكاد الشيطان أن يلعب بهم لولا حكمة رسول الله ﷺ وحلمه.

هذا والصديقة بنت الصديق موقنة ببراءتها، عزيزة النفس، مملوءة بالثقة والاعتزاز شأن الأبرياء الذين لا ترتقي إليهم شبهة، ولا تلتصق بهم لوثة، تعلم أن الله سيبرئها، ويبعد كل ظنة وتهمة عن ساحة رسول الله ﷺ ، ولكنها لم تكن تظن أن الله منزل في شأنها وحيًا يُتلى، ويجعله كلمة باقية في أعقاب هذه الأمة، ولكنها لم تلبث طويلاً حتى أنزل الله على رسوله في شأنها القرآن، وأنزل براءتها من فوق سبع سماوات فقال:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ

مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور ١١-١٢] .

بذلك انطفأت نار الفتنة وخزي الشيطان، وكأن شيئاً لم يكن شيء، فتشاغل المسلمون بما أمرهم الله به ورسوله وبما، يعود عليهم وعلى الإنسانية بالخير والسعادة[١].

وإن حادث الإفك هذا والذي عاش فيه المسلمون شهراً كاملاً في بحار الشك والقلق الذي لا يطاق قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشد التجارب في تاريخها الطويل..

وفي الآيات الكريمة إشارات عميقة نرى أن نلمح إليها لعلّ فيها درساً للمسلمين على مر الزمان.. ومن هذه الإشارات[٢]:

أ- « إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم... » « إنهم ليسوا فرداً ولا أفراداً، إنما هم عصبة متجمعة ذات هدف واحد ولم يكن عبد الله بن أبي بن سلول وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك، إنما هو الذي تولى معظمه، وهو يمثل عصبة المنافقين واليهود، الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة، فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية.. وكان حديث الإفك أحد مكائدهم القاتلة.. وكان التدبير من المهارة والخبث بحيث أمكن أن ترجف به المدينة شهراً كاملاً وأن تتداوله الألسنة في أطهر بيئة وأنقاها».

ب- « لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم» إن هذه الحادثة ليست كلها شراً بل خيراً – لأنها كشفت الكائدين للإسلام في شخص رسول الله ﷺ وأهل بيته –

---

(١) السيرة النبوية – للندوي.

(٢) راجع إلى « في ظلال القرآن » سيد قطب تفسير سورة النور.

وفيها تبيان لخطر الشائعات على الجماعة المسلمة إذا تداولتها الألسنة دون دليل ولا برهان.

- وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة - بهذه المناسبة - عن المنهج القويم لمواجهة هذا الأمر العظيم :﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ .

جـ- إن في هذا الحادث درساً بليغاً، وتربية للجماعة المسلمة، إن عليها أن لا تلوك بألسنتها شائعات لا دليل عليها، بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إمعان نظر، بل عليها أن تتبين الأمر ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات ٦] .

والتعبير القرآني﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ ﴾ [النور ١٥] يظهر طريق الشائعة وسبيل سريانها بين الناس وانتشارها، لسان يتلقى عن لسان، وهذا القول كأنه يمر على الآذان ولا تتدبره القلوب، وهذه من خصائص الشائعة ﴿ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [النور ١٥] . وما دام الأمر انكشف للمسلمين.. وأخذ الدرس .. عليه أن لا يعود لمثل هذا .. ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [النور- ١٢]

د- أن سرعة انطفاء هذه الشائعة يزيد على سرعة انتشارها.. إذ إنها انطفأت بلا أدلة أو براهين لتفنيدها.. أو أخذ ورد في الأمر.. بل إن الشائعة انتهت بمجرد نزول الآيات الكريمة تبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها... وكأن الآيات أعادت من اشترك من المسلمين في الشائعة إلى صوابهم.. أو كانوا في نوم فاستيقظوا .. وهذا دليل على أن الشائعة سرعان ما تنطفئ بالحقائق الناصعة.. مثلها مثل النار المستعرة سرعان ما تنطفئ بصب الماء عليها.

ثانياً – جبهة اليهود: لما هاجر النبي محمد ﷺ إلى المدينة، حاول أن يتألف قلوب اليهود، فعقد معهم المعاهدات[١] . وأحسن معاملتهم . ولكن اليهود قابلوا هذه المعاملة بالمثل ظاهراً، إلا أن قلوبهم تفور بالأحقاد والحسد باطناً، وخاصة وقد بعث النبي من غيرهم، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، والقصة الآتية تبين هذه النفسية اليهودية الحاقدة: عن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب[٢] قالت: ((كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي: حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر مُغْلسين[٣]، فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس فأتيا كالّين كسلانين، ساقطين يمشيان الهوينى، قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما التفت إليّ واحد منهما مع ما بهما من الغم.

قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ قال: نعم والله: قال: أتعرفه وتثبته؟ قال: نعم، قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت.))[٤].

هذا هو موقف اليهود من النبي ﷺ وهو ما زال على أبواب المدينة.. وقد ظهرت بعد ذلك أحقادهم. فأثاروا حرباً عاصفة من الجدل والشبهات، والكيد

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١١٩.

(٢) حيي بن أخطب: زعيم بني النضير وحبرهم. وقد ظل يؤجج العداوات ضد الإسلام بعد هزيمة قومه (في السنة الثالثة للهجرة) إلى أن قتل مع بني ((قريظة)) عقب خيانتهم الفاحشة للمسلمين في معركة الخندق، و((صفية)) تزوجها النبي ﷺ بعد فتح ((خيبر)) في السنة السابعة من الهجرة النبوية (انظر البداية والنهاية ٤/ ٧٤ و ١١٦).

(٣) مغلسين: الغلس ظلمة آخر الليل.

(٤) ارجع إلى البداية والنهاية ٣/ ٢١٢. وسيرة ابن هشام ٢/ ١٤٠.

والدس، والتآمر والتحريض على النبي ﷺ والمؤمنين، حتى حالفوا المشركين، والمنافقين ، في سبيل النيل من المسلمين...

وزاد عداء اليهود بعد أن أسلم بعض أحبارهم كعبد الله بن سلام وغيره من اليهود(١) ولم يقتصروا على مخالفة الإسلام بل تعدوا ذلك إلى تفضيل عبادة الأوثان والمشركين على عقيدة الإسلام، وهم يدعون أنهم من أهل التوحيد، فضلاً عن تحزيب الأحزاب على رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق: « إن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحَقيق النضري وحيي بن أخطب النضري وكنانة بن الربيع... وهم الذين حزّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ ، وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفَدِيننا خَيرٌ أمْ دينه؟ قالوا: بل دينَكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلاً ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [النساء ٥١-٥٢](٢).

ويعلق كاتب يهودي على هذه الحادثة فيقول: « ولكن الذي يلامون عليه بحق – أي اليهود – والذي يؤلم كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء إنما هو تلك الحادثة التي جرت بين نفر من اليهود وبين بني قريش الوثنيين، حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية».

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير ٣٠/ ٢١٠ – ويبلغ عدد من أسلم من اليهود وكان له شرف الصحبة (٣٩) رجلاً جاءت أسماؤهم في كتب طبقات الصحابة، كالإصابة والاستيعاب، وأسد الغابة.

(٢) البداية والنهاية. ٩٦/٤. وسيرة ابن هشام . (٢/ ١٩٠).

إلى أن يقول: « ثم إن ضرورات الحرب أباحت للأمم استعمال الحيل والأكاذيب والتوسل بالخداع والأضاليل للتغلب على العدو. ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي»[١].

ولكننا نود أن نقول للكاتب اليهودي: إن أساليب الخداع والأكاذيب قد أبيحت بين الدول المتحاربة وليس بين الدول التي بينها عهود ومواثيق فيهود المدينة مرتبطون بالعهود التي قطعوها على أنفسهم تجاه المسلمين.. فكيف يباح لهم نقضها من وراء ظهور المسلمين.. وهذه النقطة لم يتطرق لها الكاتب اليهودي.. وإنما عد موقف النفر من اليهود من باب الخطأ الفاحش لأنهم فضلوا عبادة الأصنام على التوحيد الإسلامي...

ونقض العهود شيمة اليهودي، تحت أفانين من الخداع، والمبررات الكاذبة، وألوان من ضروب التحريف ولي الكلم عن مواضعه، وتزييف المعاني والمفاهيم، وفلسفات الاستحلال التي يجيدونها، وتجري منهم مجرى الدم.

والعهد عند اليهودي ضرورة مرحلية يعقد لأجلها، ثم ينقضه بانتهاء ضرورتها ومنفعتها!

وبين العقد والنقض يظل اليهودي كالثعلب الجبان يتلفت ، ويترقب الفرصة أو يوجدها، لنقض تحت أمان العقد ، وغفلة الخصم!!

والقرآن العظيم يقرر أن هذه خطة يهودية دائمة، فيقول على سبيل الحصر لا الشمول: ﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأنفال ٥٦]

---

(١) اليهود في بلاد العرب – ص ١٤٢ – تأليف إسرائيل ولفنسون (نقلاً عن السيرة النبوية للندوي ص ٢٣٢).

وحتى اللعبة الخطيرة التي يمثلونها اليوم تحت اسم: «الحمائم» أو «الصقور»[١] هي لون قديم من خداعهم، ويشير إليها القرآن الكريم بأسلوب التكرار المطرد كالآية السابقة: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [البقرة ١٠٠].

وقد ظهر مصداق هذا في كل تصرفاتهم القديمة والمعاصرة على سواء، وتواطأت على هذا الدرب أجيالهم...

- ابتداء من عهودهم مع الله تعالى على يد كبار أنبيائهم كما قال تعالى: ﴿ ... وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ ﴾ [النساء ١٥٤-١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَـٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [البقرة ٩٣]

- وانتهاء بما صنعوا مع النبي ﷺ من غدر، ونقض للعهود في أحرج الظروف، وأحلك المعارك، كما صنع «بنو قريظة» يوم الأحزاب فعوجلوا بالعذاب؛ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ[٢] وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأحزاب ٢٦-٢٧]

---

(١) أي يظهر جماعة منهم التفاهم واللين ويظهر آخرون التشدد، ومقصد الجميع واحد في الشر والأذى.

(٢) الصياصي: جمع صيصة وهي كل شيء يتحصن به والمراد بها هنا الحصون.

ناهيك عما صنعه اليهود مع غير الأنبياء، وما زالوا يفعلونه، من غير خجل ولا اعتبار للقيم والأخلاق.. والأمثلة على ذلك كثيرة[١].

وقضية غدر « بني قريظة » ونقضهم عهد رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب.. ومحاولة طعن جيش المسلمين من الخلف. لابد من وقفة قصيرة، لما لهذا الغدر من وقع شديد على المسلمين وعلى معنوياتهم، وهم يواجهون المشركين.. وتصور الآيات الكريمة هذا الوضع أبلغ تصوير: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾ [الأحزاب ١٠-١١] .

وخيانة يهود هذه. هل تذهب دون جزاء؟ لا ، لأنه ليس من العدل أن لا ينال الخائن جزاءه، والغادر عقابه، وقد نال « بنو قريظة » جزاءهم العادل على يد رسول الله ﷺ ، وذلك بعد أن رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكفى الله المؤمنين القتال، وبعد أن انصرف المسلمون من الخندق راجعين إلى المدينة، أمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: « أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»[٢].

---

(١) أقرب مثال لذلك تفسيرهم للقرار الشهير ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ الخاص بالجلاء عن الأرض العربية في فلسطين المحتلة، فقد فسروه بحيلة لغوية شيطانية وقالوا إنه يعني الجلاء عن « أراض » بالتنكير، وليس عن « الأراضي» بالتعريف، وجعلوا ذلك ذريعة للبقاء في القدس وغيرها، بل جعلوا ذلك وسيلة للمساومات والمجادلات، وأغراهم بهذا العبث أن أصحاب القضية في كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون، ومن هذا الباب أيضاً خرقهم اتفاقيات الهدنة التي وقعت معهم في كل الجبهات وفي جميع الحروب ابتداء من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٣م (ارجع إلى: معركة الوجود بين – القرآن والتلمود – للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد – ص ١٢٩).

(٢) البداية والنهاية ٤/ ١١٦.

ونزل رسول الله ﷺ فحاصرهم خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبي الذراري والنساء»[١].

هكذا قضي على آخر حصن من حصون اليهود في المدينة، وبالقضاء عليه لم يعد يسمع حتى للمنافقين في المدينة أي صوت أو عمل يناقض إدارة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وكذلك كان بنو النضير على شاكلة « بني قريظة » في الغدر والخيانة، فقد حاولوا اغتيال الرسول ﷺ عندما كان يوماً في ديارهم، وحاولوا إلقاء صخرة عليه بينما كان جالساً إلى جنب جدار لهم[٢].

«فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استَلْبَثَ النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به»[٣].

وتهيأ رسول الله ﷺ لحربهم وإجلائهم عن المدينة « فبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويحرضونهم على المقام ويعدونهم النصر، فقويت عند ذلك نفوسهم، وحمي حُيَيْ بن أخطب وبعثوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون، ونابذوه بنقض العهود، فمنذ ذلك أمر الناس بالخروج إليهم، فحاصروهم خمس عشرة ليلة[٤] ثم تم إجلاؤهم عن المدينة جزاء ما اقترفوه من غدر ونقض للعهد. وقد أنزل الله فيهم:

---

(١) المصدر السابق – الجزء والصفحة نفسهما.

(٢) البداية والنهاية ٤/ ٧٤. وسيرة ابن هشام ٣/ ١٩١.

(٣) البداية والنهاية ٤/ ٧٤.

(٤) المصدر السابق.

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن دِيَـٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ﴾ [الحشر ٢-٤] .

- ومن صور دعاية اليهود ضد المسلمين، ما قام به « كعب بن الأشرف» أحد رؤساء اليهود، وكان شاعراً، والشعر من أسرع وسائل الاتصال في ذلك العهد، فقد كان شديدَ الأذى لرسول الله ﷺ وصحابته الكرام، إذ كان يشبب[١] في أشعاره بنساء الصحابة فلما كانت وقعة بدر، ذهب إلى مكة فجعل يؤلب على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال.

- ففي مكة أخذ ينشد الأشعار ويندب من قتل من المشركين يوم « بدر » وقد ذكر ابن إسحاق قصيدته التي أولها:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... ولمثل بدر تستهل وتدمع[٢]

قتلت سراة الناس حول حياضهم ... لا تبعدوا إن الملوك تصرع[٣]

إلى أن يقول محرضاً على قتال المسلمين:

---

(١) شبّب بنساء الصحابة: تغزل فيهن وذكرهن في شعره.

(٢) رحى الحرب: مجتمع القتال ومعظم الحرب، وتستهل: تسيل بالدمع يقال استهل المطر والدمع إذا سالا.

(٣) سراة الناس: خيارهم وزعماؤهم، والحياض جمع حوض.

نُبِّئت أن الحرث بن هشامهم في الناس يبني الصالحات ويجمع
ليزور يثرب بالجموع وإنما يحمي على الحسب الكريم الأروع[١]

وقد رد عليه « حسان بن ثابت الأنصاري»:

فابكي فقد أبكيت عبداً راضعاً شبه الكليب إلى الكليبة يتبع[٢]
ولقد شفى الرحمن منا سيداً وأهانَ قوماً ما قاتلوه وصرّعوا[٣]
ونجا وأفلت منهم من قلبه شعف يظل لخوفه يتصدع[٤]

ويروي ابن إسحاق أن كعب بن الأشرف أحد بني النضير ركب إلى قريش فاستغواهم، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله ﷺ[٥]، ثم رجع إلى المدينة فشبّب بنساء المسلمين حتى آذاهم، فقال رسول الله ﷺ : « من لكعب بن الأشرف ؟ فقال محمد بن مسلمة أتحب أن أقتله؟ قال: نعم. قال: فأذن لي فأقول: قال: قد فعلت»[٦]. وقتل على يد مجموعة من الأنصار[٧].

ومن أساليب اليهود أيضاً أسلوب التزييف والتحريف والجدل العقيم، بل إن قلوبهم طبعت على ذلك.. وأصبحت هذه الأساليب سجية في تركيبهم الخلقي والنفسي.

---

(١) الأروع: الذي يروع بحسنه وجماله.

(٢) راضعاً : أراد لئيماً.

(٣) عني هنا بالسيد النبي ﷺ.

(٤) شعف – بالعين المهملة – ومعناه محترق القلب. ويروى – « شغف » بالغين المعجمة – : وأراد أنه قد بلغ الحزن . شغاف قلبه. ويتصدع: يتشقق.

(٥) ارجع إلى البداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٦.

(٦) رواه البخاري – باب الفتك بأهل الحرب. – ٦/ ١٦٠ (فتح الباري).

(٧) ارجع إلى البداية والنهاية ٤/ ٦. وسيرة ابن هشام ٢/ ٤٣١. وزاد المعاد ٢/ ٣٤٨.

قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦ ﴾ [المائدة ٤١] .

وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا ﴾ [النساء ٤٦] .

وقال تعالى مبيناً للمؤمنين طبيعتهم حتى لا يطمعوا بإيمانهم وتعديل سلوكهم هذا، وأن على المؤمنين أن يعرفوا جيداً نفسية اليهود: ﴿ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٌ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة ٧٥] .

فاليهود يحرفون « كلام الله » من بعد ما عقلوه، فهم لا يفعلون ذلك ناسين أو جاهلين وإنما يزاولون التحريف[١] عامدين وهم يعلمون. ولذلك أمعن اليهود في الفحش والافتراء على أئمة الأنبياء قبلهم مثل: نوح وإبراهيم ولوط – عليهم السلام – . بل وصموا أعلام أنبيائهم – عليهم السلام – بكل منكر وفاحشة مثل: موسى، وداود، وسليمان – عليهم السلام[٢] .

وبهذه النفسية الخبيثة حشوا التوراة، وسائر أسفارهم « المقدسة » – في زعمهم – بكل ضلالات الاعتقاد ، وشناعات التشريع، وموبقات الأخلاق، وأساطير القصص والأخبار ، ونسبوا ذلك إلى الوحي والأنبياء، وبذلك أصبح اليهود « علماً متفرداً في الضلالة والبهتان» ، وغدت كلمة « الإسرائيليات» عنواناً للأكاذيب والمفتريات والأباطيل، ومن العجيب أن يتسرب كثير من هرائها إلى ثقافة المسلمين،

---

(١) من أخطر ألوان التحريف اليهودي ما قاموا به من ترجمة أناجيل المسيحية وتحريفها في أكثر من (٦٣٦) موضعاً (راجع كتاب « إسرائيل حرفت الأناجيل » ص ٣٧ وما بعدها).

(٢) ارجع إلى كتاب : « معركة الوجود بين القرآن والتلمود » ص ١٤٤.

– وإلى كتاب : « فضائح التوراة» للدكتور أحمد عبد الرزاق مصطفى دار صائب للنشر والتوزيع – دير الزور – ط ١ – ٢٠٠٤م.

بل وصلت إلى تفسير القرآن العظيم، حتى غص بظلمات هذه « الإسرائيليات » وذلك حين غفل بعض المسلمين عن حقيقة « النفسية اليهودية » وأبقوا لحسن الظن بقية في بعض بني إسرائيل، ناسين هذه الوصايا والتحذيرات القرآنية الصريحة[١].

والنفاق اشتهر به اليهود في العهد النبوي، أيضاً ، فضلاً عن منافقي المدينة، الذين تشابهت قلوبهم، ومناهجهم، مع الإصرار على الكفر الباطني في كل حال.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [المائدة ٦١] .

هذه بعض صور الحرب النفسية التي شنت من قبل اليهود على الإسلام والمسلمين في الصدر الأول.. وقد أطلنا البحث في الدعاية اليهودية في غير هذا الموضع[٢] ليطلع المسلم على طبيعة « النفسية اليهودية » على مر التاريخ . وليوظف هذا الوعي في الصراع الدائر اليوم بين اليهودية والإسلام..

---

(١) ارجع إلى : معركة الوجود بين القرآن والتلمود. د. عبد السار فتح الله سعيد . ص ١١٦.

(٢) ارجع إلى الدعاية اليهودية في أسلحة الحرب النفسية في هذا البحث. (المبحث الثاني من الباب الثالث).

المبحث الثاني

صور من الحرب النفسية

أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ:

(١) **من التاريخ الإسلامي:** يزخر التاريخ الإسلامي بالأمثلة الحية للحرب النفسية، والتي أدخلت الرعب والهلع في نفوس الأعداء .. وكان من نتيجتها الانتصارات العظيمة للجيوش الإسلامية.. والقضاء على أكبر إمبراطوريتين في ذلك العهد، الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية.. ومما لاشك فيه أن المسلمين نصروا بالرعب، تحقيقاً لقول الرسول ﷺ « **أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيّما رجل من أمتي أدركته الصلاة فَلْيُصلّ، وأُحلت لي المغانم ولم تحلّ لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصّة وبُعثت إلى الناس عامة** »[١].

فالانتصارات الإسلامية كانت تسبق الجيوش، والتي كانت بمثابة الدعاية المؤثرة في نفسية الأعداء، القاذفة في قلوبهم الرعب. والجيوش تهزم من الداخل قبل هزيمتها في المعركة.. ولهذا تلاحقت الانتصارات، ولم تعرف كلمة الهزيمة في قاموس الجهاد الإسلامي.. مع أن الأعداء أضعاف عدد المسلمين .. لهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يسمع قُبيل بدء معركة اليرموك رجلاً من نصارى العرب يقول: « ما أكثرَ الروم وأقلّ المسلمين » فقال له خالد: « ويلك أتُخوفني بالروم، وإنّما تكثُر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر (فرسه) براء.. وأنهم أضعفوا العدد»[٢] . بهذه الروح المعنوية العالية انتصر المسلمون..

---

(١) رواه البخاري – باب التيمم – فتح الباري رقم (٣٣٥).

(٢) البداية والنهاية ٧/ ٩ (معركة اليرموك جرت في عام ١٥هـ بين المسلمين والروم).

والتي أساسها الإيمان الصادق، وليس الرواتب العالية، أو الإغراءات المادية الأخرى ، والتي يلجأ إليها في جيوشنا اليوم..

هذه الحقيقة عرفها كل جندي من جند الله، الذين رَوَّوْا أرضَ الإسلام بدمائهم الزكية، جهاداً في سبيل الله.. والتي نتخلى عنها اليوم لأعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمين اليهود..

ولقد استخدم المسلمون أساليب الحرب النفسية[١] لإدخال الرعب في نفوس أعدائهم وطبقت عملياً في الغزوات والمعارك الإسلامية الشهيرة، ومن هذه الأساليب:

أ. استخدام صيحات القتال لبث الرهبة والرعب في قلوب أعدائهم ومن أمثلة صيحات القتال هذه والتي استخدمها المسلمون : « أحد ، أحد » في غزوة بدر و«أمِت، أمِت» في غزوة أحد. ومنها أيضاً « يا خيلُ الله اركبي» في وقعة اليرموك ، إلى جانب التكبير الذي هو شعار كل مسلم « الله أكبر ».

ب. التفريق بين الأعداء .. وهو ما قام به نعيم بن مسعود الغطفاني – رضي الله عنه – عندما أسلم، أثناء وقعة الخندق، دون علم قومه.. فقال له الرسول ﷺ : «إنّما أنت رجل واحد ، فخذّل عنا ما استطعت، فإنَّ الحرب خُدعة» .. وقام نعيم بمهمته خير قيام، وفرّق بين قريش وبني قريظة من اليهود[٢] .

جـ. الدعاية بالأعمال الرمزية لإدخال الرهبة في نفوس الأعداء فقد أمر رسول الله ﷺ عمه العباس باحتجاز أبي سفيان في مدخل الجبل إلى مكة، حتى تمر به جنود المسلمين، فيحدّث قومه عما رآه عن بيّنة ويقين، فيقضي على أي أمل لديهم في المقاومة وذلك قبل فتح مكة[٣] .

---

(١) انظر مبادئ الحرب النفسية في الإسلام في الباب الرابع من هذا البحث . حيث بحثت هذه الأساليب بشكل مفصل.

(٢) البداية والنهاية ٤/ ١١١.

(٣) البداية والنهاية ٤/ ٢٩٢.

د. ولقد أجاد المسلمون استخدام رسل الأعداء في الحرب النفسية، وذلك في حمل أخبار المسلمين وسلوكهم اليومي، إلى أقوامهم وقادتهم..

- بعث المقوقس عظيم مصر رُسلاً إلى جيش عمرو بن العاص، فأبقاهم عمرو عنده يومين وليلتين، اطلعوا خلالها على حياة جند رباهم الإسلام وهيأهم لفتح أرض الكنانة، ولما عادت الرسل إلى المقوقس سألهم: كيف رأيتم؟ قالوا: « رأينا قوماً الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم. وأميرهم كواحد منهم، ما يُعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويخشعون في صلاتهم». فقال عند ذلك المقوقس : « والذي يُحلف به، لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد»[1].

- وقبل وقعة (أجنادين)[2] بعث أمير الروم « القيقلان» رجلاً من نصارى العرب يجس له أمر الصحابة، فلما رجع إليه قال: « وجدت قوماً رهباناً بالليل فرساناً بالنهار، والله لو سرق فيهم ابن ملكهم لقطعوه ، أو زنى لرجموه » فقال له القيقلان : « والله لئن كنتَ صادقاً لبطن الأرض خير من ظهرها»[3].

(٢) من التاريخ غير الإسلامي:

أ- استخدم المغول الجاسوسية للحصول على المعلومات اللازمة لشن حملاتهم، كما لجأوا إلى الشائعات وغيرها من وسائل المبالغة لتجسيم عدد قواتهم وعنف

---

(١) النجوم الزاهرة – جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكي – طبعة دار الكتاب المصرية عام ١٣٤٩هـ ١٩٣٠ج ١ ص : ١٠/١١.

(٢) وقعة أجنادين – كانت آخر جمادى الأولى سنة ١٣هـ / قبل وقعة اليرموك بسنتين) (ارجع إلى البداية والنهاية ٧/ ٧).

(٣) البداية والنهاية ج ٧ ص ٧.

جنودهم ، ولم يكن يهمهم ماذا يمكن أن يظهر أعداؤهم ماداموا ينتفضون من الخوف والرعب.. وقد وصف الأوروبيون خيالة المغول الضاربة بأنها جحافل لا حصر لها، وإن كانت أقل من ذلك، لأن عملاء المغول كانوا يهمسون بمثل هذه القصة في الطرقات[١].

ب- وأجاد التتار الحرب النفسية وكانوا أساتذة فيها.. وأن جنكيز خان استخدم جواسيس العدو وسيلة لإرهاب جنود العدو أنفسهم، وعندما كان يستميل جواسيس العدو إلى جانبه بروح يلقنهم الشائعات التي ينشرونها بين قواتهم.

يقول أول مؤرخ أوروبي لجنكيز خان واصفاً كيف أن جنكيز خان أطلق « خلية النحل » على ملك خوارزم أي جعله يعيش في دوامة من الاضطراب .. يقول المؤرخ: « ولقد جعل الجواسيس الذين بعث بهم ملك خوارزم لرؤية قوة جيشه وتعداده .. يقول في وصف الأمر بهذه الصورة: إنهم – كما قال الجواسيس للسلطان – كاملو الرجولة شجعان لهم مظهر المصارعين، لا يستنشقون شيئاً إلا رائحة الحرب والدماء..»[٢].

جـ – وقد أدت « شركة الهند الشرقية» والتي أسستها بريطانيا في الهند عام ١٦٠٠م والتي استمرت حتى عام ١٨٥٨م حتى انتقلت السيادة على الهند إلى التاج البريطاني .. أدت هذه الشركة دوراً مهماً في الحرب النفسية.. إذ استخدمت الجاسوسية، والخلافات العقائدية، والدعاية، وسياسة (فرّق تسد) في سبيل السيطرة على الهند..

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق ص ٦٢.

يقول أدموند تيلور[1]: « في الأيام الأولى لشركة الهند الشرقية أرغم الإنجليز على أن يستخدموا بدرجة كبيرة ما يعتبر اليوم (الحرب النفسية السوداء) وذلك باستخدامهم الطابور الخامس[2] وباستخدام أساليب فجة من الدعاية السرية مما مهد الطريق لجنود الشركة «وللكويزلنجيين الوطنيين» الذين عُينوا حكاماً ليخففوا العبء عن إداريي الشركة في الأماكن المحتلة.

وقد عمد الإنجليز إلى المناورة لإبقاء القوى الوطنية السياسية المضادة لهم ضعيفة ومقسمة، وبوساطة الدعاية نجحوا في أن يملأوا عقول الهنود بخرافات مضللة: فتظن كل مجموعة من المجتمع الهندي أن الجماعات الأخرى تقف منها موقف مضاد، وكانت الحكومة الوطنية في البلاد تستخدم الجواسيس بإعداد كبيرة للتعرف على اتجاهات الرأي العام في هذه البلاد الواسعة لضبط أي تآمر، حتى قيل أن العدد كان يصل في هذا العصر المبكر إلى ثلاثين ألفاً في خدمة راجاه واحد من حكام الأقاليم.

وقد استغل الإنجليز الخلافات العقائدية بين المسلمين والهندوس، فمثلاً إذا وطئ مسلم دون قصد منه ذيل بقرة رابضة في الطريق، أو دق هندوسي على طبلة

---

(١) راجع كتاب الحرب النفسية – صلاح نصر – ج ١ ص ٦٨.

(٢) الطابور الخامس : اصطلاح يطلق اليوم ليدل على فئة داخلية خبيثة مخربة في مجتمع ما. عرفت هذه العبارة لأول مرة عام ١٩٣٩ عندما نشبت الحرب الأهلية في إسبانيا التي بدأت عام ١٩٣٦ حتى عام ١٩٣٩م والتي قادها فرانسيسكو فرانكو ضد نظام الحكم الجمهوري الذي قام عام ١٩٣١م. ولما سئل أحد قادة فرانكو وهو « اميليوميلو» عن خطته لمهاجمة العاصمة الإسبانية / مدريد قال: سأهاجمها في أربعة طوابير وطابور خامس داخل المدينة مدريد. ولما سئل عن الطابور الخامس الموجود داخل المدينة كيف دخلها قال: لم أقصد طابوراً خامساً عسكرياً بل فئة من سكان المدينة غايتها تثبيط الهمم وترويج الشائعات وإثارة البلبلة . وفي عام ١٩٣٩ سقطت مدريد بيده وعرف العالم اصطلاحاً جديداً « الطابور الخامس» (راجع كتاب « عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي – شوقي خليل – دار الفكر) حاشية صفحة ٥١.

أمـام مسـجد أثناء إقامة الصلاة، نشأت اضطرابات أشبه بالحرب الأهلية، واستغل الإنجليز هذه الخلافات لزيادة الشقة بين أصحاب العقائد المختلفة.

وقـد اسـتخدم الإنجليز الطوائف المختلفة في كبت الثورات ، فإذا ما ثار السيخ استخدموا المسلمين لكبت الثورة، وإذا ما ثار المسلمون استخدموا السيخ في القضاء عـلى الـثورة، وبذلـك كانوا يبقون الخلافات بين الجماعات مشتعلة دائماً.. وهكذا كـان باتّـباع سياسـة (فـرق تسـد) استطاع الإنجليز السيطرة بقوات قليلة نسبياً على الهند الواسعة المساحة الكثيرة السكان..[1]

وأن هذه السياسة (فرّق تسد) طبقت من قبل الإنجليز في جميع البلاد الإسلامية ومازالـت آثارهـا حـتى الآن في تقسـيمات الـبلاد العربـية عـلى إثـر معـاهدة / سايكس بيكو عام ١٩١٦م[2] . وهكذا كان الإنجليز في تاريخهم الطويل، وجه كالح بغيض .. ومهما حاولوا الآن تلميعه وتزيينه فسيبقى بالنسبة للمسلم هو هو الوجه البغيض نفسه للإسلام والمسلمين.

د – والفرنسـيون : ودورهـم في بـلاد الإسلام لا يختلف عن الإنجليز، فمنذ أن وطِئ نابليون بونابرت أرض مصر عام ١٧٩٨م لم تنته الحرب النفسية المسلطة على المسلمين، إلا أن الفرنسيين يتميزون بالسذاجة بالنسبة إلى الإنجليز .. لأن خداعهم كـان سـرعان مـا ينكشف أمام الواقع .. فنابليون هذا والذي خلع على نفسه صفة حـامي الإسـلام، بـل ادعى أنه مسلم وأنه يحارب النصرانية في روما، وذلك لخداع المسـلمين في مصـر، وبالوقت نفسه كانت خيوله تدوس الجوامع وتضرب المجاهدين في وجوهـم، ويسـفر عـن وجهـه الصـليبي القبيح... ولعل في كتابة مقتطفات من

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٦٩ – ٧٠.

(٢) معـاهدة ، سـايكس – بـيكو .. السـرية عُقـدت بـين بريطانيا وفرنسا.. عام ١٩١٦م وقد كشفت المعاهدة بعد الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٨م.

المنشور الذي وجهه إلى المسلمين في مصر حينما وطئت قدماه مدينة الإسكندرية ما يطلعنا على صورة واضحة من أساليب الحرب النفسية: « بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه.. .. يا أيها المصريون .. قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح.. فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين: إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلّص حقكم من يد الظالمين، وإنني أكثر من المماليك - أعبد الله - سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن الكريم..

أيها المشايخ والقضاة والأئمة قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم نزلوا في رومية الكبرى، وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام».

ويتضمن المنشور أيضاً الإغراء بالمراتب العالية لمن يقف بجانب الفرنسيين والويل كل الويل لمن يحاربهم « كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار»[١].

بيان كل كلمة فيه تشهد بكذب كاتبه، وخداعهم ، للتوصل إلى السيطرة على بلاد الإسلام .

ثانياً: صور من الحرب النفسية في الحربين العالميتين وما بينهما :

١- الحرب النفسية في الحرب العالمية الأولى: في هذه الحرب تحولت الحرب النفسية من وسيلة عَرَضية إلى أداة عسكرية رئيسية[٢] حتى قيل إن الحرب النفسية كانت السلاح الذي كسب الحرب. بل إن أولئك الذين كانوا لا يولون أمر الدعاية في

---

(١) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج ١ ص (٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨).

(٢) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ٣٥٤.

صفوف الحلفاء راحوا يشرون الاعتقاد بأن مَهَارَتَهم كانت قاطعة، وأن القتال العنيف الذي جرى في الخنادق لم يكن بأكثر من شل حركة الجانبين المتضادين[١].

على كل حال، وإن كان هذا الكلام مبالغاً فيه، إلا أننا مع الذين يقولون بأهمية دور الحرب النفسية في الحروب: أما ما نِسبة هذا الدور فهذا مرجعه إلى الجيوش نفسها وعقيدتها، وأخلاقِها.. وقوتِها.. وإعدادِها..

والذي يهمنا هنا العرض التاريخي للحرب النفسية وأسلحتها الفتاكة في الحرب مثل الدعاية والشائعة وغيرهما..

والدعاية بشكل خاص تطورت – خلال الحرب العالمية الأولى – لتصبح عِلماً من العلوم التي تقوم على أسس عامة[٢] وأعيد تنظيم الدعاية بعد الحرب من قبل الحلفاء وأنشأوا إدارة للدعاية ضد العدو. وكوّنوا لجنة مؤلفة من عدة دول لهذه الغرض فاشتركت فيها المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا[٣].

وأن الدعاية البريطانية بشكل خاص نشطت منذ بدء الحرب عام ١٩١٤م، وكانت تهدف لتحقيق غايات ثلاث: فكان عليها أولاً: أن تقنع أبناء البلاد في الداخل بعدالة قضيتهم في الحرب، وكان الهدف الثاني هو إقناع الدول الصديقة والمحايدة بأن النصر سوف يعقد لها آخر الأمر، أما الهدف الثالث فهو أن تُلقي اليأس والقنوط في قلوب الألمان[٤].

- ومن النقاط الرئيسة التي ركزت عليها الدعاية الإنجليزية لتحقيق الهدف الأول وهو إقناع الشعب بعدالة قضيتهم:

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر – ج ١ ص ٨٠.

(٢) الدعاية السياسية – لندلي فيريزر – ترجمة عبد السلام شحاته – الفكر العالمي ١٩٦٠ص ٦.

(٣) المصدر السابق – نفس الصفحة.

(٤) الدعاية السياسية – لندلي فريزر – ترجمة عبد السلام شحاته – الفكر العالمي ١٩٦٠ص ٢٦.

أ- الاعتداء الألماني على بلجيكا لم يكن إلا اعتداء القوي على جار ضعيف لا حول له ولا قوة.

ب- ذيوع الروايات عن قسوة الألمان ووحشيتهم - إعدام الأسرى - الأعمال الوحشية ضد النساء والأطفال ورجال الدين، وإشاعتها في بريطانيا.

ج- أن الألمان أعلنوا عدم اعترافهم بأي قواعد قانونية حربية.. واستعمالهم الغازات السامة في الحرب.

وقد نجحت هذه الدعاية ، وصدقها الناس، وبتكرارها أكثر من مرة وانتشارها بين الناس أصبحت حقيقة لاشك فيها[١].

وأن دور الصحافة كان له أثر في ذلك.. وذلك بتضخيم الأخبار والمبالغة فيها حتى أيقن الناس بصدق الشائعات.. مما عبأهم نفسياً للقتال ضد العدو الألماني[٢].

- ولتحقيق الهدف الثاني وهو إقناع الدول الصديقة والمحايدة بأن النصر حليفهم وذلك بتحويل الرأي العام الأمريكي بشكل خاص.. وقد ركزت الدعاية عليه لأنه الأمل في مستقبلها وانتصارها على الألمان.

وقد اتّبعت الدعاية الإنجليزية الحذر والحكمة، والطرق العلمية المنظمة لمحو الشكوك التي ساورت الأمريكيين عن موقف الحلفاء، مع العلم أن كثيراً من الأمريكيين ناصروا الألمان في بداية الأمر، كما اعتبروا بريطانيا لا حق لها في محاصرة الموانئ الألمانية لمخالفة ذلك لحرية البحار[٣].

وهكذا أعد الخبراء الدراسات الخاصة بالصحافة الأمريكية دون إزعاج للقارئ الأمريكي العادي، وتجنبوا المغالاة ، وأظهروا الحقائق عن أعمال الألمان، دون تدخل ظاهر ودون القيام بمحاولات عنيفة لكسب الرأي العام الأمريكي.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٨.

(٣) الدعاية السياسية - لندلي فريزر - ترجمة عبد السلام شحاتة - الفكر العالمي ١٩٦٠ ص ٢٩.

وقد ساعدت الدعاية الألمانية في نجاح الدعاية البريطانية، إذ إنها وقفت موقف المدافع للرد على دعايات الحلفاء . وهذا نوع سيئ من الدعاية لأنه يذكر المستمع أو القارئ برأي العدو، فضلاً عن أن محاولة الرد على هذه الدعايات حملت الناس على الظن بأن الألمان يحاولون استثارة العطف عليهم(١) .

بالإضافة إلى أن وكالات الأنباء البريطانية والحليفة استطاعت أن تتوصل إلى نتائج بعيدة المدى في كسب الرأي العام في مناطق كثيرة من العالم إلى جانب الحلفاء.

- أما تحقيق الهدف الثالث وهو إلقاء اليأس والقنوط في نفوس الألمان، عن طريق توجيه الدعاية إلى العدو.. فقد اعتمدت على المطبوعات والنشرات التي تلقيها الطائرات على صفوف الأعداء .. والجدير بالذكر أن هذه النشرات كانت تحتوي على حقائق ولكن ليس كل الحقائق .. وغايتها كسب ثقة الأعداء.

- بالإضافة إلى النشرات بوساطة الطائرات، كان هنالك الجواسيس داخل بلاد العدو فقد ساعدوا على نشر النشرات، وكتابة الشعارات العدائية على الحوائط، ونشر الشائعات التي تفت في عضد الأعداء . وكانت هذه الوسيلة الوحيدة للنشر قبل اختراع المذياع(٢) .

وقد نجحت دعاية الحلفاء في الأهداف الثلاث مما اضطر الألمان إلى الجنوح إلى السلم بعد أن صار موقفها الحربي غاية في السوء مما هدد بوقوع كارثة(٣).

٢- **الحرب النفسية ما بين الحربين:** إن فترة ما بين الحربين لم تُبْرِز إلا الحرب النفسية لألمانيا النازية، في داخل ألمانيا وفي خارجها.. إذ استخدم سلاح الدعاية بشكل منظم وعلمي.. وقد كان هتلر نفسه يشرف على الدعاية، بل هي من صنع يديه.

---

(١) المرجع السابق ص ٣٠.

(٢) الدعاية السياسية – لندلي فريزر – ترجمة عبد السلام شحاته، الفكر العالمي ١٩٦٠ ص ٣١-٣٢.

(٣) المرجع السابق ص ٣٤ لزيادة التفصيل.

أمـا الدعايـة في داخـل ألمانـيا فقد ركزت على نقاط هامة بنظر هتلر.. وخاصة وأنه ورث تركة شعب منهزم في الحرب، وهذه النقاط هي:

أ- تأكـيد الـذات والثقة بها.. وذلك عن طريق الدعاية بأن الجيش لم يهزم وأن الهـزيمة قـد كانـت لعوامـل أخـرى غـير انـدحـار الجـيش.. وظـل الألمـان يـرددون الشـعارات المعـبرة عـن قوتهم ووحدتهم، ويعلقون على صدورهم الشعارات التي ترمـز إلى هـذه المعاني.. والقول بأن الجيش لم يهزم هو قول يرضى الشعور الكامن بتأكيد الذات.

ب – الخـوف مـن المستقبل.. وذلك بتأكيد روح العداء للدول المجاورة : فرنسا وبولـنده وتشيكوسـلوفاكيا.. لأن هـؤلاء يدبـرون هجمـات جديدة على ألمانيا من الشـرق ومن الغرب بالإضافة إلى أن ألمانيا تعاني أزمة اقتصادية بعد أن حرمت من مسـتعمراتها.. وباعتبار أن النظرة للمستقبل مظلمة .. فما على ألمانيا إلا الاستعداد لكل طارئ، والنظر بريب إلى كل الدول المجاورة أنها العدوة الأولى لألمانيا.

ج – أن الـرجل الألماني هو الرجل الأسمى (السوبرمان)، وهو البطل الذي لا يقهـر، وأن ألمانـيا تمـتاز على سائر الدول بعلومها وصناعتها.. لذلك تعاديها الدول الأخرى خوفاً من منافستها لهم في القوة العسكرية والاقتصادية.

وكانـت كل غاية هتلر من التركيز على هذه النقاط هو الإعداد للحرب العالمية الثانية.

-أمـا خـارج ألمانـيا ، فقـد كانـت الدعايـة نَشِـطة جداً، وقد كان أعظم سلاح اسـتخدمته الدعاية الألمانية في الخارج في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية هو المذيـاع . وتعتـبر ألمانيا أول دولة استطاعت أن تنظم الدعاية بأسلوب علمي، وكان يشـرف علـيها الدكـتور (جوبلز) وزير الدعاية وذلك في عام ١٩٣٩م قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية.

أما عن تَوجُّه الدعاية الخارجية.. فقد كانت تُوَجَّه إلى الألمان الذين يعيشون في الخارج حتى تزيد فيهم الإحساس بولائهم لموطنهم الأوَّل، وتوجه ثانياً إلى الأعداء اللدودين لألمانيا، بريطانيا وفرنسا.. وفي هذا المجال كانت تتسم الدعاية في الفترة ما بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩م بالطابع العدواني وأثناء الحرب تميزت بالطابع الدفاعي وذلك للرد على النشاط المتزايد للدعاية المضادة[١].

« والحق أن الدعاية المباشرة الموجهة للعدو هي سلاح محدود النفع، ومن الصعوبة بمكان أن يكتب لمثل هذه الدعاية النجاح المرجو، وتتوقف قدرتها في التأثير على مدى صدقها وعدم تضارب أقوالها وعلى فهمها العميق للحالة النفسية للجماهير التي تخاطبها. ولم يكن حزب هتلر يعرف شيئاً عن نفسية الجمهور المعادي، كما أن المبالغات التي صورت بها انتصارات الألمان المنتظرة والتي ساعد على انتشارها نجاحهم السريع في بدء الحرب، جعلت الناس يشكون كثيراً في صحة ما يقال»[٢].

٣- **الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية:** كان للإذاعة دور مهم في الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء أو دول المحور (روما - برلين - طوكيو) وذلك باستخدامها وسيلة من وسائل الحرب النفسية، حتى ظهر ما يسمى بـ « حرب الإذاعة».

ولقد حققت الدعاية الألمانية انتصارات ثلاث:

١- في المجال السياسي بجعل كتلة كبيرة من الرأي العام الدولي ترى أن مستقبل العالم يتوقف على الاختيار بين الشيوعية والفاشية.

٢- في المجال الإستراتيجي بأن تبدو كل ضحية على أنها هي الضحية الأخيرة، وبذلك كانوا يجدون في كل مرة الفرصة للمضغ الجيد وازدراد ما يمضغونه.

---

(١) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم - لندلي فريزر ص ٤٦.

(٢) المصدر السابق ص ٥١.

٣- في الميدان النفسي (السيكولوجي) باستخدام « الذعر الكامل » بجعل الشعب الألماني نفسه يخشى من تصفية الشيوعية له، كما استخدمت أفلام عمليات الحرب الخاطفة لإضافة الجماعات الحاكمة في دول أخرى ولتحطيم المعنويات، وتسبب عن ذلك ما يسمى « بالانهيار العصبي» للأمم، وذلك بإبقائها دائماً في حالة شك وعدم تيقن مما يمكن أن يحدث لها غداً[1].

ونظراً لأهمية الحرب الألمانية أو الحرب النفسية، فلقد أنشأ لها هتلر وزارة خاصة بالدعاية والتنوير أو الإرشاد The Minestry of Popular Enlightement and Propaganda ، وعين وزيراً لها هو جوزيف جوبيل Joseph Goebbels واستخدما ما نطلق عليه اليوم الطريق السطحي في الإقناع Peripheral route من أجل إقناع الجمهور المستهدف من دعايتها. وفي بعض الأحيان كانا يخاطبان عواطف الناس Emotions، كما اعتمدا على تكرار إطلاق بعض الشعارات Slogans ، ولم تكن هذه الدعاية تهتم كثيراً بالمبادئ الأخلاقية Ethics محتجة في ذلك بأن النصر هو أهم الأهداف وهو الانتصار « الكاسح » Swift victory ، كما كانت تذهب إليه دعاية النازية. ولكن في واقع الحال، انتهت بهزيمة منكرة ومن معها من دول المحور « إيطاليا واليابان ».

ومن هذه المبادئ المستخدمة في الدعاية الألمانية ما يلي:

١- الاعتماد على غربلة أو تصفية المادة المراد إرسالها، بحيث تحقق الهدف النفسي منها، ومؤدى ذلك أنه لا يلزم بالضرورة سرد الحقائق كلها أو كما هو في الواقع Selective filtering of materials بل إن الواقعة الواحدة يمكن تجزئتها واستقطاع جزء واحد منها واستعماله.

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٨٤.

ولقد تمكنت النازية من تحقيق ذلك بعد سيطرتها على أجهزة الإعلام الجماهيرية أو وسائل الاتصال الجماهيرية Mass media ، وتشمل الآن الإذاعة والرائي (التلفاز) الصحافة والمجلات والدوريات والسينما والمسرح والمعارض والمهرجانات، بحيث لا يصل إلى الناس سواء في الداخل أو في الخارج إلا المعلومات « المفلترة » أو المنقاة أو المصفاة والمختارة خصيصاً لتحقيق الأثر النفسي.

وسيراً في طريق السيطرة على الصحافة كان الصحافيون يتم اختيارهم بدقة شديدة من أصحاب الولاء للفكر النازي، وكانوا يخضعون للعقاب أو نيل الثواب والجزاء بصورة منتظمة، بناء على جهودهم في خدمة النازية، أو السماح لبعضهم بالاطلاع على بعض الحقائق أو القصص. وكانت صورة شائعة عن الشخصية النازية؛ صورة الجسارة والشجاعة والإقدام عن طريق عرض الشعارات والملصقات ذات القدرات العالية على جذب الانتباه، وكانت الرسائل الموالية للنازية تمتزج مع برامج التسلية الشيقة والمشهورة.

٢- تعمد إقناع الناس بأن انجلترا تعاني من أزمة اقتصادية طاحنة، أو عدم الاستقرار السياسي.

٣- عرض الأفلام التي توضح اتفاق الشعب مع هتلر وسياسته.

٤- خلق صورة من مشاعر العظمة والسمو لدى الشعب الألماني Creation of grandeur ، ومن أجل تحقيق هذا الغرض تم بناء استديوهات كبيرة واستخدمها لعقد اللقاءات والمقابلات بين الناس لإقناع الناس بأن للنازيين أصولاً ثقافية عريقة وقوية في الماضي وذلك لإقناع الناس بقوة النازية.

٥- تكوين جماعات من الشبيبة موالية لهتلر، يدينون بالولاء للنازية، وكانوا يتميزون بارتداء القمصان البنية اللون كشعار لهم.

٦- الاستفادة من حالة الخوف والإحباط التي ترتبت عن خوض ألمانيا الحرب العالمية الأولى، والتي تركتها تعاني أشد المعاناة من الصعوبات الاقتصادية، وشعور

الناس بعدم الأمان حول المستقبل؛ ولذلك ابتكر هتلر فكرة أن اليهود هم تسببوا في امتصاص الاقتصاد الألماني ومصادره أو منابعه، وبذلك لفظ المجتمع الألماني اليهود بينما توحد الشعب الألماني معاً.

٧ – استخدام الإذاعة أثناء الحرب العالمية الثانية، من طرفي النزاع على حد سواء بقصد إضعاف معنويات العدو. واستخدم النازي بعض الخونة من الإنجليز في الإذاعة، كما استخدمتهم اليابان لهذا الغرض. وتم استخدام هذه الإذاعات والبرامج الإذاعية إلى جانب إسقاط المنشورات والكتيبات والأوراق والصور من الطيران.

٨- إثارة حرب الأعصاب التي كان النازي يشنها قبيل توجيه عدوانه نحو الشعوب الأوروبية بالإدعاء بأن الأقلية الألمانية في البلد المستهدف تم القبض عليها وأن الجيش الألماني يقف على أهبة الاستعداد للرد الصارم على ذلك.

هذه الدعاية أو حرب الأعصاب كانت تستهدف إضعاف العدو، وجعله في حالة من الحيرة والتردد والانقسام على نفسه.

٩ – تصوير هتلر في صورة الأب العطوف والقائد الكفء والمحارب الفذ، وأن مشاكل الأمة تجد حلها في الالتفاف حول هذا القائد العسكري الخبير. فكانت صورته كالأب المتواضع، وأن الشعب كله يقف من ورائه. كما يقال الآن في بعض المجتمعات « زعيم الأمة » أو « حبيب الشعب » « راعي الشباب » « نصير الحق ».

ركزت جهودها لمقاومة أو مكافحة دعاية الأعداء، ولخفض معنويات القوات المسلحة الألمانية والإيطالية واليابانية، والنيل من معلومات المدنيين، وفي الوقت نفسه كانت تعمل هذه الدعاية لتقوية الروح المعنوية في الداخل، وتقوية الدوافع نحو الحرب[1].

---

(١) انظر : د. عبد الرحمن محمد العيسوي – الحرب النفسية دفاعاً وهجوماً ، مجلة الجندي المسلم – العدد ١١١ في ١/ ٤/ ٢٠٠٣م.

وقـد اسـتخدمت بريطانـيا الإذاعـة أيضـاً في حربها الدعائية، ولكنها تتميز كما يقـول لـندلي فريـزر الدعـائي العـالمي « بأنها التزمت جانب الصدق في بثها.. لأن العـالم كان قد أيقن بأن الدعاية التي أساسها الكذب ستودي في آخر الأمر بالغايات التي تهدف إلى تحقيقها»[١].

أما أن الإذاعة البريطانية التزمت بالصدق ، فهذا الإدعاء يحتاج إلى دليل، إذ إن رجـال هـذه الإذاعـة وحـتى الـيوم يَدَّعـون ذلـك وأنها موضوعية في بث أخبارها وتعلـيقاتها إلا أن تجـربة المسـلمين مـع هـذه الإذاعة عرّفتهم كيف أنها في كثير من مواضـيعها « تـدس السـم في الدسـم » وإن جـاءت بخبر لا تـأتي به كاملاً، أو أن تصوغ الخبر بشكل يتلاءم مع تصورها وسياستها الصليبية.

ويـرجع « فريزر » نفسه فيقول : « فإن الحقائق يمكن أن تعرض بأسلوب يشيع فيه التفاؤل أو يشوبه التشاؤم ، بحيث يثير تعليقات معينة في كل حالة، وقد حاولت الإذاعة البريطانية أن تسلك هذا المنهج ».

إذاً يمكن للإذاعة البريطانية أن تتلاعب بالحقيقة كيفما تريد، وبما يخدم مصالحها .. فأين الصدق والتزامه؟.

وإن الـدور الذي أدته الإذاعة البريطانية في الحرب العالمية الثانية كان كبيراً جداً وخاصـة فـيما يتعلق بالرد على دعاية ألمانيا النازية، إذ كانت تعرض المسائل بطريقة أكـثر حـيوية. فأحرجـت زعمـاء الـنازية باسـتمرار، وذلك حين أظهرت مبالغاتهم وعـدم تماسـك أقوالهـم وعجزهم في إنجاز وعودهم. بالإضافة إلى أنها كانت تحتفظ

---

(١) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم ص ٥٩.

انظـر: أيضـاً الفصـل الثالـث – المبحث الثاني : « الدعاية الغربية » فقرة أسلوب الدعاية الغربية للاطـلاع عـلى دور الإذاعة البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية وفي الوقت الحاضر – وخاصة في مجتمعاتنا العربية والإسلامية.

بتسجيلات صوتية لجميع الخطب الهامة التي ألقاها أولئك الزعماء في الاجتماعات العامة .. وبواسطتها تعمل على تذكير المستمع بصفة دائمة بحقيقة الزعماء النازيين، واستخدمت تلك الطريقة للكشف عما وراء الدعايات الألمانية المغالية، وكان هدف النشاط المبذول – في الرد على الدعاية المضادة هو الحطّ من شأن العدو.

واستطاعت الإذاعة البريطانية بأساليبها الملتوية اكتساب الألمان أنفسهم للاستماع إليها، وذلك بإذاعة أسماء الأسرى الألمان الذين وقعوا في قبضة الحلفاء، مع ذكر بيانات من صحتهم والإصابات التي أصيبوا بها، والإشارة إلى ما يلقونه من علاج في المستشفيات وهذا ما ساعد على سرعة انتشار هذه الأخبار في أنحاء ألمانيا بعد ساعات من نشرها[١].

ولم تكن الإذاعة البريطانية وحدها في ميدان الحرب النفسية، بل كانت الإذاعة الفرنسية أيضاً تعمل إلى جنبها في بداية الحرب إلى أن سقطت بيد الألمان، وأيضاً الإذاعة الأمريكية تعاونت معها منذ عام ١٩٤٢م – وكانت هذه الإذاعة ترسل من داخل الولايات المتحدة، ثم أنشأت محطة إرسال بعد غزو النرويج بوقت قصير عام ١٩٤٤م عرفت باسم « محطة الإذاعة الأمريكية لدول أوروبا» واتخذت من لندن مقراً لها.

ولم يقتصر الأمر على الإذاعة وحدها في ميدان الحرب النفسية، بل استخدمت السلطات البريطانية المطبوعات أيضاً باعتبارها وسيلة قيمة للدعاية بالإضافة إلى النشاط الإذاعي . وهكذا ألقت المنشورات التي أعدت في لندن داخل أقليم العدو عن طريق البلاد المحايدة مثل سويسرا والسويد، وبعد انقطاع المواصلات أثناء الحرب ألقيت المنشورات عن طريق الجو فوق الأقاليم التي احتلتها ألمانيا، وقد

(١) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم: ص ٦٨.

سميت في وقتها « حرب القصاصات »[1] . أما ما تتضمنه هذه النشرات فهو ما يتردد في الإذاعة من إشارة إلى تزايد قوة الحلفاء والسخرية من الحزب القومي الاشتراكي « النازي » والتهكم من تأكيداته ووعوده بالنصر التي أثبتت الأيام كذبها. ثم الإشارة إلى ما في أقوال الزعماء من تناقض.

وقد زادت قيمة هذه النشرات أو القصاصات، وذلك بعد دخول الولايات المتحدة الحرب، وتوحيد جهود الدعاية بإنشاء منظمة مشتركة لهذا الغرض أطلق عليها: لجنة الشؤون النفسية (السيكولوجية) للشؤون الحربية. فصارت المطبوعات في خدمة الغايات العسكرية المباشرة، ووزعت النشرات والقصاصات في الجهات الحربية العسكرية المباشرة ولوحظ أن تلائم مادتُها الجمهور الذي توجه إليه، وهذا الجمهور هم جنود العدو الذين يقاتلون في الميدان.

والغرض النهائي الذي هدفت تلك المطبوعات إليه هو بث اليأس في قلوب جنود الأعداء وحملهم على الاستسلام أو الهرب، إذا كان ذلك ممكناً. واستخدمت براهين مختلفة لإقناع الجنود بذلك، فهي تشير إلى أن النصر النهائي معقود للحلفاء. وكلما أدرك الجندي الألماني أو الإيطالي هذه الحقيقة فإنه سيتوق لعودته سريعاً لأسرته، وأنه لا خيار أمامه فهو أمام أمرين: الاستسلام أو الموت.. وتشير النشرات إلى مدى تناقض وجبن وخيانة القواد الألمان.. ولكي تدفعهم هذه النشرات إلى الاستسلام فهي تظهره بأنه ليس عاراً مخزياً إذا كان هذا الاستسلام في الظروف الميئوس منها، ومن حق الجندي الألماني الذي يستسلم حسن المعاملة المكفولة بمقتضى اتفاقيات جنيف الدولية. وكان لهذا القول الأخير أثره الفعال في نفسية الجنود الأعداء مما دفع عدداً منهم إلى الاستسلام وذلك في شمال إفريقية من قبل

---

(١) مجلة المختار من (ريدرز دايجست) آذار (مارس) ١٩٤٤ مقال بعنوان (حرب القصاصات).

معسكرات الإيطاليين، وإن كان من الصعب الإحصاء بدقة للمستسلمين من الجنود الذين توجه إليهم الدعاية ولا تتوافر إحصاءات تبين أسباب استسلامهم[١].

وهكذا نجد أن الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية استخدمت سلاح الدعاية بوساطة الإذاعة والنشرات من قبل دول المحور ومن قبل الحلفاء وكانت ذات أثر فاعل ومؤثر في نفسية الجنود .. وهو ما تصبو إليه هذه الحرب.

ثالثاً : صور من الحرب النفسية ما بعد الحرب العالمية الثانية:

(١) **صور من الحرب النفسية الصهيونية:** سنذكر مفصلاً أسلحة الحرب النفسية اليهودية في الفصل الثالث من هذه الدراسة .. أما موضوع هذه الفقرة فإننا نعرض وبشكل مختصر صوراً من الحرب النفسية التي تشنها الصهيونية العالمية على العالم أجمع بعامة وعلى العرب والمسلمين بخاصة، من قبل اغتصاب فلسطين وحتى الوقت الحاضر، فمن هذه الصور:

١) نشر الأساطير والشائعات الصهيونية وتكرارها بوسائل الإعلام حتى تصبح حقائق بزعمهم – مثل الهولوكوست– وما تتحدث عن مذبحة أو حرق ٦ ملايين يهودي على أيدي النازية في الحرب العالمية الثانية[٢] وشائعة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»[٣].

٢) تلميع صورة اليهودي، وإظهاره أنه العبقري المتفوق، وأن الجندي الإسرائيلي هو الجندي الذي لا يقهر ، وأثبتت الأيام أن اليهودي إنسان كغيره من الأناس ليس لديه أي تميز، بل إنه إنسان جبان في المعارك.

٣) تشويه صورة الإنسان العربي - وهي صورة يرددها الإعلام الغربي كافة وليس الصهيوني فحسب، فهم يصورون الإنسان العربي بأنه إنسان منزو ومندفع

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: كتاب جارودي «الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل» وصحيفة الاندبندت الإنكليزية في ١٦ /٥/ ٢٠٠٤م.

(٣) المرجع السابق.

وراء شهواته، عنجهي لا يقيم وزناً لأي مثل، متخلف ، جاهل، عاجز عن استيعاب مبادئ المساواة، انفعالي، عدواني، إرهابي، وتهمة الإرهاب هذه تكرست وفق أسس بحثية علمية تعد أن أصل الإرهاب يعود إلى جماعة «الحشاشين»[1] وأن هذه الجماعة هي التي اخترعت الإرهاب.

٤) التضليل الإعلامي.. وأخطر صوره:

- اليهودية هي قومية (بدليل أن إسرائيل وطن قومي لليهود) أما العروبة فهي ديانة (بدليل أن ٨٠٪ من الأمريكيين يعتقدون أن إيران وباكستان هي دول عربية).

- أن (إسرائيل) تملك تاريخاً وأنها أسبق من العرب في ملكيتها للأرض.. مع العلم أن (إسرائيل) تخفي المخططات التاريخية، وتمنع المؤرخين من مجرد الإطلاع عليها.

- أن (إسرائيل) تحمي مصالح الغرب وهي بمنزلة الخادمة لمصالحه.

٥) نشر شائعة اللجوء: أطلق الكيان الصهيوني شائعة مازال يرددها حتى اليوم، وقوامها أن الفلسطينيين لم يهربوا من الإبادة في مذابح كفر قاسم وديرياسين وغيرها.. بل إنهم تركوا أرضهم بناء على أوامر الجيوش العربية التي كانت تنوي إبادة اليهود بعد خروج العرب[2].

---

(١) صحيفة الأندبندت (مرجع سابق). والحشاشون لقب أطلق على فرقة من غلاة الإسماعيلية، هم النزاريون الذين استقلوا في قلعة ألموت بقيادة الحسن بن الصباح (١٠٩٠م) اشتهروا بتنظيمهم السري وبتدبير الاغتيالات .. حاربوا السلاجقة واشتد نفوذهم بعد اغتيالهم الوزير نظام الملك في نيسابور (١٠٩٢م) .عُرف خلفاء الحسن بن الصَّبَّاح بشيوخ الجبل، اتسع نطاق دعوتهم فبلغ بلاد الشام واستولوا على قلاع مصياف وقدموس (١١٤١م) قضى عليهم في فارس هولاكو (١٢٥٦م) وفي سورية الظاهر بيبرس سلطان المماليك (١٢٧٢م).

(٢) المرجع السابق.

٦) تفكيك العالم العربي وتمزيقه، وبدا هذا واضحاً من الوثيقة التي نشرتها مجلة (كيفونيم) التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية[١]، وعنوانها : « إستراتيجية إسرائيلية للثمانينات» وقد نشرت باللغة العبرية ويتضمن بعض نصوصها:

أ. تقسيم العراق وسورية ولبنان ومصر والسودان والجزيرة العربية إلى دويلات طائفية.

ب. على الرغم من الصورة القاتمة للدول حول إسرائيل وتشكل تحديات وأخطار ومشكلات، ولكنها تشكل فرصاً عظيمة.

ج. إن الدول الأبعد عن إسرائيل مثل المغرب والجزائر والسودان وليبيا سوف لا يكون لها وجود بصورتها الحالية.

د. إن العراق يشكل خطراً على إسرائيل لأنه الأقوى في العالم العربي، لذلك يجب تقسيمه وتفتيته إلى مقاطعات إقليمية طائفية؛ دولة في البصرة ودولة في بغداد ودولة في الموصل وهكذا تنفصل المناطق الشيعية عن الشمال السني الكردي.

هـ. من غير الممكن أن يبقى الأردن على حالته وتركيبته الحالية لفترة طويلة، إن سياسة إسرائيل - إما بالحرب أو بالسلم - يجب أن تؤدي إلى تصفية الحكم الأردني الحالي ونقل السلطة إلى الأغلبية الفلسطينية.

و. إن التعايش والسلام الحقيقي سوف يسودان البلاد فقط إذا فهم العرب بأنه لن يكون لهم وجود ولا أمن دون التسليم بوجود سيطرة يهودية على المناطق الممتدة من النهر إلى البحر، وإن أمنهم وكيانهم سوف يكونان في الأردن فقط.

٧) تيئيس العرب من أي انتصار على اليهود، وعلى الجيش اليهودي الذي لا يقهر، وقد صرح بهذا أحد وزراء العدو الصهيوني[٢] بقوله: « إن واجب إسرائيل أن تجعل العرب يائسين تماماً من مقدرتهم على التصدي للجيش الإسرائيلي».

---

(١) تم ترجمة الوثيقة إلى اللغة العربية، وقدمها الدكتور عصمت سيف الدولة كأحد مستندات دفاعة عن المتهمين في قضية تنظيم ثورة مصر عام ١٩٨٨م.

(٢) انظر: إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير ص ٣٣١ وانظر الدعاية اليهودية في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

٨) ومن الصور الأخرى التي ستذكر في الفصل الثالث في قوة الدعاية اليهودية بشكل مفصل:

- إسرائيل تمثل حلقة الوصل بين العرب والغرب، وأنها الوحيدة التي تحقق مصالح الغرب في الشرق.

- أن إسرائيل حامية الشرعية والقاضية على الإرهاب في المنطقة.

- إسرائيل حقيقة حضارية مرتبطة بالغرب.

- إسرائيل دولة عصرية متقدمة تقنياً.

- العرب متخلفون حضارياً وعلمياً وتقنياً.

- تحوير الفكر والثقافة الإسلامية في كتب التعليم داخل الأرض المحتلة.

- التغلغل داخل الكنائس النصرانية واستخدامها لتنفيذ مخططاتها.

- استخدام وسائل الإعلام المتعددة بشكل متقن.

- استخدام السينما والأفلام في الحرب النفسية.

- اعتبار مبدأ معاداة السامية السيف المسلط على كل معارض للصهيونية.

(٢) صور من الحرب النفسية بعد الثورة المصرية عام ١٩٥٢م.

*** استخدام الدعاية الرمادية.**

- ركزت الحرب النفسية في هذه الفترة على الدعاية.. إما لتمجيد الحاكم أو للقضاء على الخصوم ، وكانت الإذاعة هي الوسيلة الإعلامية الفاعلة في هذا المجال.. وكان تلميع الحكام بالمشاريع الخيالية، والإحصاءات الكاذبة، والأعمال البطولية.. الباطلة .. وهدف الدعاية التأثير على سلوك الأفراد وتزييف وعيهم، بحيث يصبح الحاكم الفرد الوحيد الملهم في الشعب.

ولعل الإنسان العربي الذي عاصر إذاعة « صوت العرب » في الخمسينات وما بعدها ومعلقها المشهور « أحمد سعيد » يدرك الدور الذي قامت به بعض الإذاعات العربية من تخدير للعرب والمسلمين.

- أما الحرب النفسية ضد خصوم الحاكم ومعارضيه فيوضحها (مايلزكوبلاند)[١] في كتابه « لعبة الأمم » كيف أن حاكم مصر في تلك الفترة حاول القضاء على خصومه بالدعاية السوداء فلم يفلح ، لأن خصومه كانوا يتمتعون بسمعة جيدة في جهاد المستعمر الإنكليزي في قناة السويس، وجهادهم اليهود في حرب فلسطين عام ١٩٤٨م، وبعد استشارة خبراء الدعاية نصحوه باستعمال « الدعاية الرمادية» أو « الدعاية السمراء » « وهو مدح العدو بقصد التشهير به لدى أنصارهم في الرأي العام العربي والمصري» والذي يقوم بالمدح هو عدو البلد (إسرائيل) ، واستطاع رئيس المخابرات الأمريكية في تلك الفترة إقناع (إسرائيل) للقيام بهذا الدور.. وبدأت فعلاً في مدح القوى المعارضة للحاكم.. وتشويه سمعتها داخل الشعب المصري؛ حيث إن ما يمدحه اليهود ، إذاً هو عميل لهم، وشاركت في الدور إذاعة موسكو أيضاً كما يقول المؤلف، لماذا؟[٢]. أي أن المؤلف لا يعرف دوافع موسكو في هذه الدعاية!!

(٣) صور من الحرب النفسية في حرب الخليج الأولى[٣]:

- بدأت هذه الحرب في عام ١٩٩١م بين قوات التحالف الأمريكية والجيش العراقي ..

---

(١) مايلز كوبلاند، من رجال المخابرات الأمريكية في مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م – ومؤلف أيضاً كتاب (لاعب اللعبة).

(٢) انظر كتاب لعبة الأمم، ص ١٥٦، وكتاب: (الدبلوماسية والمكيافيلية في العلاقات العربية الأمريكية خلال عشرين عاماً ١٩٤٧ – ٢١٩٦٧) للدكتور محمد صادق.

(٣) المرجع السابق.

ومن صور الحرب النفسية الأمريكية ضد الجيش العراقي يومها:

١- استخدام مكبرات الصوت من قبل إحدى الوحدات الصغيرة للقوات الأمريكية – أطلقت فيها أصوات الحوامات والذبابات من خلال شرائط مسجلة، من أجل الإيحاد للجيش العراقي بأن إمكانيات الوحدة أكبر بكثير من حقيقة الأمر.

٢- قامت قوات التحالف – وعلى مدى سبعة أسابيع متواصلة – بإسقاط ٢٩ مليون منشور على هيئة ١٤ شكلاً مختلفاً، وصلت إلى ٩٨٪ من الجيش العراقي ، تقوم بعضها بتهديد الجيش العراقي، وتتوعده في حال عدم الاستسلام ، وفي بعضها الآخر تذكر الجنود العراقيين بالأهل وأنهم ينتظرون عودتهم. كما كانت بين تلك المنشورات واحد على شكل (دينار عراقي) يسهل إخفاؤه داخل أي محفظة، وقد أكدت القوات الأمريكية أنه من يأتي إليها من العراقيين حاملاً ذلك المنشور فسوف يجد لديهم الملاذ الآمن[1] .

٣- إذاعة شبكة صوت الخليج – وتعد من أهم إنجازات القوات الأمريكية الخاصة بالعمليات النفسية في حرب الخليج، والتي استمر إرسالها – دون انقطاع – في الفترة من ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٩١م إلى ١ نيسان (إبريل) ١٩٩١م، وكانت الشبكة مكونة من عدة أجهزة إرسال داخل إحدى دول الخليج بالإضافة إلى الإرسال من طائرتين من طراز ١٣٠ - Volant sofo EC .

(٤) صور من الحرب النفسية في العراق:

- بدأ العدوان الأمريكي البريطاني على العراق فجر يوم الخميس ٢٠/ ٣/ ٢٠٠٣م.

---

(١) ومن طرق إسقاط المنشورات (قنبلة المنشورات) والتي يتم إسقاطها من إحدى الطائرات، ثم تنفجر القنبلة في الهواء بعد ابتعادها عن الطائرة قليلاً، لتفتح الصندوق الداخلي المحتوي على المنشورات، ومن ثم تنتشر إلى مسافات بعيدة.

- قبل عرض صور الحرب النفسية التي شنت على الجيش العراقي والشعب عامة، نقول مع المفكر الفرنسي جان بودريار : « إن حرب الخليج الثانية انتهت قبل أن تبدأ » وكان يقصد بذلك أن الإستراتيجيات الإعلانية الأمريكية اشتغلت على البنية النفسية للقيادة والجيش العراقي، وأفلحت في تفكيكه قبل أن تشتغل فوهات المدافع وتنهمر الصواريخ العابرة على المدن العراقية بلا رحمة[1].

- وأن وسائل الإعلام قامت بدور فاعل في هذه الحرب، في تثبيط معنويات القوات العراقية والشعب العراقي، بالإضافة إلى التضليل الإعلامي المركز حيث تسوغ الحكومة لشعبها بوصف الحرب على العراق بالحرب « العادلة » و« لا مفر منها حفاظاً على الأمن القومي الأمريكي» ومن ثم يسمونها « دفاعية» وتصبح « وقائية» من خطر محتمل قد يأتي من « أسلحة الدمار الشامل» العراقية المزعومة، ثم وصلت إلى الحرب على « الإرهاب» وغيرها من الدعايات التي تتحكم فيها الترسانة الإعلامية الأمريكية[2].

- ومن التضليل الإعلامي وتزييف الوعي لدى الناس جميعاً، إخفاء الهدف الحقيقي من الحرب على العراق، وهو تدمير القوة العراقية المتنامية والتي تشكل خطراً حقيقياً على الكيان الصهيوني، بعد ضرب المفاعل النووي العراقي من قبل الطائرات الصهيونية ، حيث أصبح لدى العراق أكثر من سبعين مصنعاً حربياً لتصنيع الصواريخ، والمدافع والطائرات دون طيار، بالإضافة إلى تدمير تاريخ وحضارة العراق الإسلامية.. وحتى يكون نموذج العراق العلماني الذي ينوون تشكيله هو النموذج المتبع في العالم العربي بخاصة .. بعيداً عن الإسلام والشريعة الإسلامية.

---

(١) انظر: د. محمد أحمد النابلسي – الحرب النفسية في العراق – مركز الدراسات النفسية بيروت/ أيار ٢٠٠٣م، وكذلك وليد الكردي – سيكولوجية الاحتلال الأمريكي – شبكة الإنترنت للإعلام العربي في ٦ كانون الثاني ٢٠٠٤م.

(٢) المرجع السابق.

- ومن الصور الملاحظة للحرب النفسية في العراق:

١- إغـراق عـناوين المسـؤولين العراقـيين السياسـيين والعسـكريين برسـائل (فاكسات) من قبيل : «نعرف أين أنتم .. الهزيمة ستكون من نصيبكم».

٢- إسـقاط المنشورات عبر الطائرات قبل وأثناء العمليات، تدعو العراقيين إلى التعاون مع قوات التحالف وعدم الخوف من النظام.

٣- اسـتخدام الإذاعـة وبـث الأخبار التي تبث الرعب في النفوس، وذلك لقلة وجود أجهزة الإعلام المرئية (التلفاز) والفضائيات في العراق.

٤- اسـتخدام الشـائعات: مـثل شـائعة الخـيانة التي تلصق بكبار ضباط الجيش العـراقي، وشـائعة استسـلام ألويـة الجيش . وشائعة المقابر الجماعية وكراهية نظام الحكم السابق، وشائعات كثيرة استخدمت لإلحاق الهزيمة النفسية للجيش والشعب العراقي، ويظهر هذا واضحاً في سقوط المدن والقرى دون أي قتال حيث كان يعلن الجيش الأمريكي عن احتلال المدينة أو القرية ويتم سقوطها فعلاً بعد ذلك دون أي مقاومة لانتشار الشائعة بين الناس عن سقوطها قبل ذلك[1].

(٥) صور من الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني:

بـدأت الحـرب النفسـية عـلى الشـعب الأفغـاني قبل بدء الضربات الأمريكية، وبشكل دقيق في ٨/ ١٠/ ٢٠٠١م، ومن صورها:

١- إسـقاط ٣٧٥٠٠ عبوة من المؤن الغذائية للشعب الأفغاني !! وذلك لأجل تأيـيد المجـتمع الدولي، وكذلك الشعب الأفغاني الفقير الجائع، وخطب يومها بوش قائلاً : «إن الشعب الأفغاني المقهور سوف يعرف كرم أمريكا وحلفائها عن طريق

---

(١) د. محمد أحمد النابلسي – الحرب النفسية في العراق (مرجع سابق) .

- وانظـر مجلـة الدفـاع – الرياض – الحرب الأمريكية على العراق . عبر تداعيات للعميد الركن مطلق بن سالم الأزيمع – (العدد ١٣٢ – في ١/ ١١/ ٢٠٠٣م).

إسقاط مؤن غذائية وأدوية وتجهيزات لجوعى أفغانستان من الرجال والنساء والأطفال أثناء قيام الجيش الأمريكي بضرب الأهداف العسكرية داخل أفغانستان»[١].

٢- إسقاط منشورات أمريكية تظهر « أن الولايات المتحدة صديقة للشعب الأفغاني كما أنها صديقة لأكثر من مليار مسلم حول العالم»[٢].

٣- إذاعة برامج إذاعية من طائرات Ec- ١٣٠E Commando تحث الشعب الأفغاني على دحر الإرهاب والقضاء على طالبان والقاعدة اللتين اتهمتا بحوادث (١١ أيلول) في الولايات المتحدة الأمريكية[٣].

٤- إعلان الحكومة الأمريكية توفير ٣٥٠ مليون دولار أمريكي إعانة للاجئين الأفغان لتحسين صورتها، وإظهارها بصورة الصديق الذي يسعى لإعانة صديقه وقت الشدة.

٥- إسقاط أعداد هائلة من أجهزة الراد (الراديو) للاستماع إلى إذاعة البيانات والبرامج الأمريكية بلغة الشعب الأفغاني[٤].

---

(١) من خطب الرئيس بوش الابن عقب الضربات الأولى لأفغانستان.

(٢) جزء من خطاب بوش الابن أيضاً ، كما جاء في تقرير لمجلة جينز العسكرية في تصريح لوزير الدفاع أنه قد تم بالفعل ، وقبل الضربات الأمريكية على أفغانستان شن ما يعرف بالعمليات النفسية Psyops داخل أفغانستان من خلال إسقاط منشورات أمريكية للشعب الأفغاني (انظر د. نادية العوضي – الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني – في ١٣/ ١٠/ ٢٠٠١م – موقع إسلام أون لاين .).

(٣) المرجع السابق.

(٤) إذاعة (بي بي سي) البريطانية ، في اليوم الثاني للهجوم الأمريكي على أفغانستان (انظر: المرجع السابق).

(٦) صور من الحرب النفسية الأمريكية الحديثة.

هذه الصور ليست هي بنت ليلتها، أي بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ٢٠٠١م – ولكن هذه الأحداث فَعَّلتها وأسرعت من وتيرتها، وسنذكر بإذن الله إستراتيجية الغرب عامة وأمريكا خاصة في الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الفصل الرابع من هذه الدراسة .. أما في هذه الفقرة فإننا نبين بإيجاز صور هذه الحرب التي أصبحت ممارساتها واضحة لكل ذي بصيرة .. على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر وهي:

١- الحرب على الإسلام تحت عنوان الحرب على الإرهاب .. (تم تفصيل ذلك في الفصل الرابع من هذه الدراسة).

٢- عولمة الرعب .. حرب أمريكا الجديدة. هذه الصورة للحرب النفسية هو عنوان لكتاب (ليوسف الأشقر – بيروت ٢٠٠١م) حيث يعدها المؤلف «مشروع نظام عالمي سياسي – عسكري واقتصادي وثقافي، من الممكن والواجب إسقاطها وإيقافها، إذ إنها من الماضي المتخلف الذي أصبح خطراً، فهي تتسلح بثورة الوسائل لتقتحم الحاضر والمستقبل ونحاربها بسلاحها»[١].

٣- إرهاب الدولة باستعراض القوة العسكرية، وذلك للهيمنة على الدول الأخرى. يقول شالمرز جونسون ، في كتابه الجديد (٢٠٠٤م) الذي يحمل عنوان: «محنة الإمبراطورية» : «منذ أن قررت الولايات المتحدة ترسيخ تفوقها العسكري على العالم أصبحت (أي الولايات المتحدة الأمريكية) تقف وحيدة : تثير الخوف والكراهية، فاسدة وتنشر الفساد ، تفرض «النظام» – بزعمها – باستعمال إرهاب الدولة تارة وبالرشوة تارة أخرى، وكذلك غرقت في شعارات إعلامية جنونية وزائفة، وبسلوكها هذا فهي تستدعي تكاتف العالم ضدها»[٢].

---

(١) انظر مراجعة للكتاب – موقع : الإسلام اليوم – ٢٢/ ١٢/ ١٤٢٥هـ.

(٢) عرض الكتاب : د. محمد عبد المنعم – مجلة المجتمع – العدد ١٦٠٣ – ١٠-١٦ ربيع الآخر ١٤٢٥هـ (٢٩/ ٥/ ٢٠٠٤م).

٤- العولمة والهيمنة على العالم (انظر الفصل الرابع) .

٥- دعم التوجهات الحداثية والعلمانية في العالم الإسلامي (انظر الفصل الرابع).

٦- السيطرة على الإعلام (انظر الفصل الرابع..) .

٧- الاقتصاد : هذه الصورة من الحرب النفسية تجمع صوراً متعددة منها:

- الحصار الاقتصادي وما يتبعه من بطالة وفقر في الدول الأخرى.

- تجميد الأرصدة والممتلكات (لمن يخالفها).

- القروض والمساعدات (الرشوة للدول المتعاونة معها).

- تزوير العملة..

- العقود التجارية الخاصة[١] .

تعد الحرب الأمريكية على العراق وما سبقها أفضل نموذج للصورة المطلوبة.

٨- إثارة التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة – وهذه تشمل بؤر التوتر في الحدود حيث إن الاستعمار قبل أن يرحل عن العالم العربي ترك بؤراً متوترة على الحدود يثيرها عند اللزوم[٢] .

٩- القضاء على المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي بحجة تمويل الإرهاب.

١٠- التلاعب بالعقول – حيث يقدم الوعي جاهزاً ومعلباً.

تَأكَّدَ هذا الأمر بعد حرب الخليج الأولى والثانية ، حيث اجتذبت وسائل الإعلام الأمريكية الموهوبين للعمل في الإعلام والتضليل ، وبصفة ما يشاع من

---

(١) انظر : الحرب النفسية في النظام العالمي الجديد – د. سعد العبيدي – مجلة النبأ العدد ٥٥ ذو الحجة ١٤٢١هـ (آذار – ٢٠٠١م).

(٢) المرجع السابق.

التلفزيون الأمريكي أنه منارة ديمقراطية ثقافية، وأمام الضغط الإعلامي لا يجد الجمهور فسحة للتأمل والتفكير والتحليل، لذلك يقدم إليه الوعي جاهزاً – ولكنه وعي مبرمج ومُعد باتجاه مرسوم[١].

١١- استهداف العقل الفاعل للشباب. والشباب في كل أمة هم قوتها الضاربة. فصحتهم البدنية والنفسية وسلامة تفكيرهم، فضلاً عن قوة إيمانهم وعقيدتهم.. تعزيز لهذه القوة.

وإلى هذه القوى يحاول العدو الاختراق بوسائل متعددة .. منها الغزو الفكري، والتشكيك بالمعتقدات ، وإفساد الأخلاق بالمخدرات، والأفلام الجنسية... وغير ذلك.. وزاد هذا الاختراق بالقنوات الفضائية المتأمركة في العالم العربي والإسلامي[٢].

١٢- عزل المجتمع العربي عن الإسلامي .. تشكل المجتمعات الإسلامية عمقاً إستراتيجياً للمجتمعات العربية، حيث تتقارب المشاعر وتتحد العقائد والآمال والآلام.. وهذا التقارب يزعج النظام العالمي الجديد، وهو غير مرغوب فيه، لذلك تركزت الحرب النفسية الأمريكية إلى تكوين أهداف مختلفة وزرع الفتن بين الدول، واتباع سياسة فرق تسد لإضعاف المجتمعين سوية[٣].

١٣- تعميم مشاعر الإحباط في المجتمع الإسلامي ، ويظهر هذا واضحاً في الحروب التي شنتها الولايات المتحدة على أفغانستان والعراق والقوى العسكرية التي ترسلها هنا وهناك، والقواعد العسكرية الضخمة التي تبنيها في العالم العربي

---

(١) انظر : هربرت شيلر – المتلاعبون بالعقول – نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت – ط ٢ ١٩٩٩م – وكذلك انظر موقع الإسلام اليوم – قراءة للكتاب في ٤/ ٤/ ١٤٢٤ هـ (٤/ ٦/ ٢٠٠٣م).

(٢) انظر: الحرب النفسية في النظام العالمي الجديد (مرجع سابق).

(٣) المرجع السابق.

والإسلامي ، بل في العالم أجمع.. كلها هدفها بث الإحباط في المنطقة والشرق الإسلامي ، وتيئيسهم من مقاومة مخططات الولايات المتحدة في المنطقة[١].

١٤- الحرب السياسية، وهي مرادفة للحرب النفسية .. وهي تهدف:

- تدعيم قوة المعارضة في الدول التي لم تهيمن عليها للوصول إلى الحكم، أو إضعاف القوى المنافسة.

- معاونة الدول الواقعة تحت سيطرتها مادياً.

- الانقلابات العسكرية .. حيث تأتي بحكومة ديكتاتورية (على الرغم من مناداتها بالديمقراطية) لتنفيذ سياستها في المنطقة – والأمثلة كثيرة في هذا المجال[٢].

١٥- استخدام المخابرات الجاسوسية: الاستخبارات أو مصلحة الاستخبارات أو أجهزة الاستخبارات أو المخابرات: تعني مجموعة الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة لجمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والعاملة بالوقت نفسه على مكافحة عملية التجسس أو التخريب المعادية.

وكان دور (السي أي إيه) وهو جهاز المخابرات الأمريكي، فاعلاً في كل الحروب التي خاضتها أمريكا في العالم الإسلامي (أفغانستان، حرب الخليج الأولى، حرب العراق) حيث هي موجودة في العالم الإسلامي تحت غطاء مهني قديم، أو بصفة رجال أعمال، أو طلاب، أو صحفيين ، أو مبشرين ، أو أطباء، أو عمال، أو خادمات بيوت، أو على شكل سياح أو أساتذة ، أو ممثلين أو شحاذين، أو شرار نفوس ضعيفة[٣].

---

(١) انظر: حسين العسكري النديم – المخططات المطروحة: حرب نفسية لبث الإحباط في المنطقة العربية . مجلة البيان – ٢ شوال ١٤٢٣هـ.

(٢) انظر كتاب « لعبة الأمم » ما يلز كوبلاند.

(٣) د. حنان الخميس – علم المخابرات الجاسوسية. ٩/ ١٠/ ٢٠٠٤م.

١٦- أساليب (السي آي إيه) في التعذيب النفسي والجسدي: إن ما تناقلته وكالات الأنباء والفضائيات من وقائع وصور عن ما يجري في سجن (أبي غريب) في العراق، ومن سجن (غوانتانامو) في كوبا، لتقشعر منه الأبدان من وسائل التعذيب والقتل، مما يندى له جبين الإنسانية إن بقي فيه من ندى.. ونذكر هذه الأساليب على سبيل المثال لا الحصر[1]: وكذلك ما حدث من تدنيس القرآن الكريم في غوانتانامو وفي دولة يهود لإذلال المسلمين في إهانة أقدس مقدساتهم ومع هذا لا يستطيعون فعل شيء؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- الاعتقال لمدة طويلة دون محاكمات، وهذا ما يثمر القلق النفسي والذهني والشعور بعدم الأمان.

- أسلوب الإكراه ويهدف إلى إحداث حالة من الانكفاء والضعف والتردي النفسي، وفقدان التحكم على الذات، وانهيار الشخصية، وفقدان القدرة على القيام بأي نشاط فكري مما يؤدي إلى الإحباط التام.

- الحبس الانفرادي كوسيلة للضغط على الشخص ، حتى يتحول السجين إلى كراهية الأحياء عامة، وإلى الهلوسة والإرهاب والتخيلات.

- استخدام الوسائل الكهربائية على المنطقة الحساسة من الجسم.
- الاغتصاب وضرب النساء.
- التنويم المغناطيسي.
- الحرق بالنار.
- استخدام الكلاب .. إلخ.

وكلّ هدف المخابرات هو الإذلال وقهر الإرادة، ليس للسجناء فقط بل لكل الحكام والمجتمع المسلم.. لذلك كان رد الفعل هزيلاً، لأن الإحباط سيطر عليهم وكذلك التخاذل واليأس نتيجة لكسر الإرادة.

---

(١) المرجع السابق.

١٧- الحرب الباردة الثقافية: هذه الصورة للحرب النفسية الأمريكية، هي عنوان كتاب ، ومؤلفته الباحثة الأمريكية : فرانسيس ستوفر سوندرز[١] .

يفضح الكتاب زيف الادعاءات التي عاش عليها أجيال الحرب الباردة، ولاسيما في عالمي الفنون والآداب، حيث يصاب القارئ بالصدمة حين يعلم أن رواد الحداثة الغربيين أمثال سارتر وأورويل ، ورسل ، وستيفن سبنذر وغيرهم لم يكونوا سوى أبواق لجهاز الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) الذي استطاع صناعة فضائح أدبية وثقافية من خلال تقديم الرشاوي والأموال لهؤلاء وغيرهم، خدمة للأهداف الأمريكية المتمثلة بمحاربة المد الشيوعي.

ويذكر الكتاب الواقع في ٤٥٧ صفحة أن عام ١٩٤٧م كان بداية النشاط الأمريكي لهذه الحرب الثقافية الباردة ، حيث استطاع جهاز (CIA) إنشاء مؤسسات ثقافية ومجلات أدبية لتسويق مخططات الجهاز.

ويتحدث الكتاب عن رابطة حرية الثقافية التي أنشأها جهاز (CIA) ، وكان أول مكاتبها في العالم العربي، في لبنان ثم في مصر، وعلى سبيل المثال يؤكد الكتاب أن مجلة « حوار » العربية الصادرة في القاهرة ، وقبلها مجلة « شعر » ١٩٥٧م، من نتاج هذه الرابطة.. بمعنى أن ما أتحفنا به نقاد وشعراء وأدباء ومفكرو ما سمي بالحداثة والشعر الجديد المستنير كان زائفاً ويعبر عن رؤية أمريكية خالصة.. ويكفي أن نعرف أن دعاة « الحداثة » العربية على الطريقة الأمريكية اعتبروا كل استلهام للتراث العربي والإسلامي نوعاً من التخلف ، وأن الشعر والأدب والفكر ما لم يحاكي التصورات الغربية هو الجهل بعينه.. ومع الأسف كان الوصول إلى هذه الحقائق جاء متأخراً وبلسان غير عربي أيضاً.

---

(١) ترجمة طلعت الشايب – نشر المجلس الأعلى للثقافة – مصر ٢٠٠٢م عرض الكتاب : محمد عبد الفتاح – في موقع الإسلام اليوم في ١١ ذي الحجة ١٤٢٣هـ (١٢/٢/٢٠٠٣م).